الفصل الثاني

دور الرياض السياسي

أولاً : الوضع السياسي في شبه الجزيرة قبل دخول عبد العزيز الرياض ١٩٠٢/ ١٣٢٠هـ.

ثانياً : حالة اللامركزية السياسية والقوى المحلية والخارجية التي صنعت هذه الحالة في شبه الجزيرة.

ثالثاً : دور الرياض الوحيدي ١٩٠٢ - ١٩٣٢م/ ١٣٢٠ - ١٣٥١هـ.

رابعاً : الرياض قاعدة للمملكة.

أولاً: الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية قبل دخول عبد العزيز الرياض ١٩٠٢م/ ١٣٢٠هـ.

عند دخول عبد العزيز الرياض لم تكن تجمع شبه الجزيرة العربية حكومة إقليمية مركزية موحدة كما لم تكن كلها تحت حكم دولة واحدة، بل تنازعت مناطقها أنظمة سياسية متعددة فمنها ما كان تحت حكم أمراء محليين إما مستقلين أو تحت حماية بريطانيا، ومنها ما كان تحت حكم الأتراك العثمانيين، ولذلك اتسم الوضع السياسي في شبه الجزيرة بصراعات مستمرة ما بين القوى الداخلية والخارجية وبين القوى الداخلية فيما بينها.

وسنحاول فيما يلي التعرض لهذه الصراعات مع التركيز على المناطق التي كان لها صلة مباشرة بالرياض عندما دخلها عبد العزيز وعندما خرج منها بجنود، بهدف جعلها نواة لدولة ضم فيها معظم أراضي هذه الجزيرة.

١ - **الحجاز**: نبدأ التاريخ بعام ١٥١٧م/ ٩٢٣هـ عندما دانت المنطقة لنفوذ العثمانيين في عهد الشريف الحسن بن عجلان الذي استطاع أن يمد نفوذه من ينبع شمالاإلى جيزان جنوبا، وعندما استولى السلطان سليم العثماني على مصر كان أمير مكة الشريف بركات الثاني الذي أوفد ابنه أبا نمي إلى السلطان معلنا ولاءه له، وبذلك أصبحت الحجاز تحت سيادة العثمانيين[1].

ولقد كان الصراع الأسري بين أشراف الحجاز على الحكم دمويا ارتكبت خلاله أنواع من القسوة والعنف ولم يخل تاريخهم الطويل من ذلك الصراع إلا في فترات قليلة جدا. حتى أن أمراء الحج العثمانيين كانو يتدخلون بقواتهم

---

(١) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، دار قريش للطباعة، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ، ص ٧.
عبد الله العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، المرجع السابق، ص ٢١.
عبد العزيز نوار، دراسة في **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، جامعة بيروت العربية، مطابع كريديه إخوان، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢.
وحسين بن محمد نصيف، **ماضي الحجاز وحاضره**، الحسين - علي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، جدة، ١٣٤٩هـ، ص ص ١٠ - ١٢.

الخاصة لمصلحة هـذا الشريف أو ذاك، ونتيجة لذلك عانا الأبـرياء من السكان والحجاج كثيرا من المصائب والمحن.

ونصل إلى حقيقـة هـامة وهـي: أن أهم اختصاصـات شريف مكـة كـانت تأمين قوافل الحج، ولذلك صـار للأشراف مركز ممتاز باعتبارهـم سدنة الأماكن المقدسة.

ولما كانت الـدولة العثمانيـة ترسل من مصر إلى الحجـاز مبلغا محددا من المال سنـويـا وبانتظـام إلى جـانب ريع الأوقـاف على الحرمين لذا استمـر أهل مكـة والمدينة في ظل الأشراف على ولائهم للدولة العثمانية.

وقبل قيام الدولة السعوديـة لأولى كان لأشراف مكة نفوذ على بعض الأقاليم النجديـة. لكنه كـان يضعف تدريجيـا لتلاشي قـوة الدولـة العثمانية التي كـانوا تابعين لها من النـاحية الرسميـة في جزيرة العرب ومنـافسة النفوذ الخالـدي له، وكـــان من الطبيعي أن يهتم أولئك الأشراف بظهـــور دعـــوة الشيخ محمـــد بن عبدالوهاب في نجد ثم بقيام الدولة السعودية الأولى.

وتتفق المصـادر على أن عـددا كبيرا من الأشراف دخلـو في عـداء مع أنصـار الـدعوة السلفيـة، وإن كـان هذا لم يمنع مـن تحسن العلاقـات بينهما في بعض الأحيان.

ولكن النتيجة هي أن فترة العـلاقات الحسنة بين الدرعية ومكـة كانت قصيرة جدا ومع ذلك نجـد أن أشراف الحجاز لم يقـدموا على التدخل العسكـري ضد الـدولـة السعوديـة حتى عـام ١٧٩٠م/ ١٢٠٥هـ، منذ هـذا التـاريخ وحتى ١٨٠٣م/ ١٢١٨هـ وهـو العام الـذي دخلت مكة المكـرمة تحت حكم الـدولة السعـودية الأولى، كـانت الحوادث تسير لصالح قـادة الـدرعية في نـزاعهم مع الأشراف[1]. وفي عـام ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ أصبحت الحجاز كلهـا جـزءا من الدولة السعودية الأولى.

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ١، ص ص ١٦٢ - ١٦٤. وأحمد بن دحلان، المصدر السابق، ص ص ٤٧٤ - ٢٧٦.

ولكن بعد انتصار محمد علي على آل سعود واستخلاص الحجاز من أيديهم عام ١٨١٩م/ ١٢٣٥هـ، أصبح منصب شريف مكة تحت سيطرة محمد علي الذي يتدخل في اختيار الشريف وفق رغبته، حتى عام ١٨٤٠م/ ١٢٥٦هـ.

وبذا يمكننا القول أن الأشراف فقدوا نفوذهم السابق وخسر الحجاز الاستقلال الذاتي الذي كان يتمتع به من قبل، وأصبح زمام الأمور في الحجاز يجري وفق إرادة الوالي التركي[١].

إلى أن صدر الفرمان السلطاني من السلطان عبد الحميد بتولية الشريف الحسين بن علي إمارة مكة في شوال ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ وكأن السلطان عبد الحميد كان يتوقع من خلال سيرة الحسين ومساعيه بأنه سينجح في إخراج الحجاز من طاعة الدولة العثمانية وانضمامها إلى صفوف أعدائها، فقد قال السلطان عقب تولية الحسين للإمارة، «لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل لإمارة مكة، ويا ليته يكتفي بإمارة مكة واستقلال العرب فقط، ولكنه سوف يعمل بدهائه لأن ينال مقام الخلافة العظمى لنفسه»[٢].

٢ - عسير: تطلق على المنطقة التي تقع بين اليمن جنوبا والحجاز شمالا وتمتد من البحر الأحمر غربا إلى مقاطعة نجد شرقا، وتبلغ مساحتها حوالى ٧٠,٠٠٠كم٢، وقد سميت بهذا الاسم لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها أو كما يقول البعض إنها نسبة لأحد ساكنيها الأقدمين واسمه عسير من العدنانيين[٣].

---

(١) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص ٢.

(٢) حسين بن نصيف، المرجع السابق، ص ص ٣ - ٦.

SALAH MUHAMMAD AL AMR, **THE HIJAZ UNDER OTTMAN RULE** 1869-1914 OTTOMAN VOL. I, **THE SHARIF OF MECCA, AND THE GROWTH OF BRITISH INFLUANCE.** P H.D. THESIS, UNIVERSITY OF LEEDS, RIYADH UNIVERSITY PUBLICATIONS 1978, PP. 143-136.

(٣) هاشم بن سعيد النعمي (قاضي رجال ألمع) **تاريخ عسير في الماضي والحاضر**، الجزء الأول، ص ص ٤ - ٥.

كان نفوذ أشراف الحجاز قد امتد إلى القنفذة جنوبًا أي أن منطقة عسير قد دخلت تحت نفوذ هؤلاء الأشراف، وإذا كان هذا واضحا في تهامة لسهولة التحرك في الجهات الساحلية فإنه من المحتمل أن ذلك النفوذ في الجهات الجبلية لم يكن أكثر من تحالف بعض القبائل مع الأشراف أما الولاء الحقيقي فكان للزعماء المحليين[1].

وفي عام ١٥٣٨ - ١٦٣٥م/ ٩٤٥ - ١٠٤٥هـ كانت عسير تحت حكم الأمراء المحليين في ظل السيادة العثمانية وكان الولاة العثمانيين يرسلون حكاما يساعدون الأمراء المحليين في شئون الحكم وكثيرا ما كانت تقوم الحروب بين الطرفين وذلك لاستئثار الأتراك بالإدارة. ولكن في عام ١٦٣٥م/ ١٠٤٥هـ تمتعت عسير بفترة من الاستقلال تحت حكم الأمراء المحليين[2]. ولكنها دخلت في صراع مع الأئمة الزيديين الذين كانوا يحاولون فرض سيطرتهم عليها.

ثم عاد المدّ العثماني من جديد في عسير فيما بين عامي ١٨١٤ - ١٨٤٠م/ ١٢٣٠ - ١٢٥٦هـ أثناء فترة حكم محمد علي الذي أرسل قواته إلى الجزيرة العربية لمحاربة آل سعود وكان طبيعيا أن تصل هذه القوات إلى عسير لمحاربة أنصار الدولة السعودية الأولى في هذه المنطقة [3]، غير أن القوات المصرية هزمت أمام قوات بن شعيب وتم جلاؤها عن المنطقة فعادت إلى جدة[4].

مما تقدم يتضح أن الوجود العثماني في عسير كان بين المدّ والجزر، يقوى تارة ويضعف أخرى، غير أن السمة البارزة فيه أنهم لم يحاولوا إخضاع المنطقة خضوعا كاملا، والسبب أن الأمراء المحليين كانو دائمي الثورة، لذا حاول العثمانيين الإبقاء عليهم كحكام للمنطقة نيابة عنهم.

---

(١) العثيمين، المرجع السابق، ص ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ الخلاف السليماني**، جـ١، الطبعة الثانية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ، ص ص ٧١ - ٨٣.

(٣) عبد الله بن علي مسفر، **أخبار عسير**، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق بيروت ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ، ص ص ٣١ - ٣٥.

(٤) ابن بشر، جـ١، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

ولكن في عام ١٨٧٢م نجحوا في ضم عسير وجعلها متصرفية تابعة لولاية اليمن[١] وبقيت على هذا الوضع حتى عام ١٩٠٧م/ ١٣٢٤هـ عندما ظهر في عسير محمد بن علي الإدريسي ليؤسس حكومة الأدارسة التي تحملت عبء الكفاح ضد الوجود العثماني في هذه المنطقة حتى تخلصت منه في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ[٢].

٣ - اليمن :

نظرا لأهمية اليمن من الناحية العسكرية وحساسية موقعها الاستراتيجي المهيمن على شواطىء البحرين العربي والأحمر، فقد كانت محط أنظار الدولة العثمانية التي دخلتها قواتها عام ١٥٣٨م/ ٩٤٥هـ بقيادة سليمان باشا الأرناؤطي بناء على تعليمات من السلطان سليمان القانوني، إلا أن الوجود العثماني في اليمن تعرض لمقاومة ضارية من قبل الأهالي كان من نتيجتها خروج الأتراك بعد هزيمتهم في معركة (الصافية) ١٦٣٦م/ ١٠٤٦هـ وبعدها بقي اليمن قرابة مائتين وعشرين عاما محتفظا بسيادته الإقليمية حتى كانت سنة ١٨٤٨م/ ١٢٦٥هـ حين أعاد الأتراك الكرة إلا أن قواتهم منيت بالهزيمة وأرغمت على العودة.

بعد هذه الحادثة أمضى اليمن ربع قرن في خلافات داخلية، كان أشدها الصراع الذي قام بين الامام ابن المهدي بصنعاء وبين المنصور أحمد بن هاشم بصعدة، وكان الباشا أحمد مختار قائد القوات التركية المرابط بعسير يراقب هذه الخلافات عن كثب، وعندما حسان الوقت دخل صنعاء سنة ١٨٧٢م/ ١٢٨٩هـ.

---

(١) ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٤١.

(٢) SIR RINAHAN, CORNWALLS. **ASIR BEFORE WORLD WAR 1**, ORLEANDER PRESS, CAMBRIDGE, PP. 25-28.

وفي عام ١٨٧٣م/ ١٢٩٠هـ عينت الحكومة التركية مصطفى عاصم خلفا لأحمد المختار الذي لجأ إلى سياسة العنف والقسوة في المنطقة.

وفي عام ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ توفي الإمام المنصور وبايع الأهالي ابنه يحيى بالإمامة فأخذ على عاتقه التصدي للوجود العثماني فاضطرت حكومة الاتحاديين التي أيقنت أنه لا قدرة لقواتها على السيطرة وإخضاع أهل اليمن، لا سيما بعد أن أصبح في أيديهم السلاح الحديث والمعدات التي غنموها من حروبهم معه، كما أيقنت أن بقاء قواتها يشكل خطرا عليهم، لذا دخلت في اتفاقية مع الإمام يحيى تتضمن قيام الإمام بالاشراف على شئون القضاء والأوقاف وتعيين الحكام والمرشدين وتشكيل هيئة شرعية في البلاد وأن تكون جباية الأموال على الطريقة الشرعية[١].

هذا ولم تمض ثلاث سنوات على هذا الاتفاق حتى قامت الحرب العالمية الأولى وبعدها غادرت القوات التركية اليمن وبخروجها دخل اليمن في مرحلة سياسية جديدة هي مرحلة العزلة التي فرضها الإمام يحيى عليها[٢].

٤ - الأحساء «شرقي شبه الجزيرة»:

قبل أن تفكر الدولة العثمانية في ضم الأجزاء الشرقية من الجزيرة لدولتها كانت هذه المنطقة تحكمها الأسرة الجبرية (آل جبر)، ونتيجة للصراع الداخلي والغزو الخارجي بدأت هذه الأسرة في الزوال بعد أن استولى على مقاليد الأمور راشد بن مغامس عام ١٥٢٤م/ ٩٣١هـ.

وبعد هذا التاريخ بدأت الدولة العثمانية تفكر جادة في ضم كل من الأحساء والقطيف إلى ممتلكاتها خاصة بعد أن أصبحت الحجار تابعة لها.

ولقد نجح العثمانيون في الاستيلاء على الأحساء عام ١٥٥٢م/ ٩٦٠هـ، وظلت الأطراف الشرقية لشبه الجزيرة العربية خاضعة للعثمانيين حوالي ١٢٠

---

(١) أحمد حسين شرف الدين، **اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين**، الطبعة الرابعة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٩٨٦م، ص ص ٢٥٦ - ٢٦٤.

(٢) صلاح العقاد، **المشرق العربي المعاصر**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٥١٩.

سنة. إلا أن قوة زعماء بن خالد التي أخذت تزداد وتتوطد في شرق الجزيرة العربية حتى لقد أثاروا الكثير من المشكلات للحكام العثمانيين الذين لم يجدوا بدا من استرضائهم بالمال حينا وبالمناصب حينا آخر أرغمت الحامية العثمانية على الانسحاب من البلاد عام ١٦٦٩م/ ١٠٨٠هـ وبذلك أصبح (لآل حميد) زعماء بن خالد النفوذ، إلى أن دخلت الأطراف الشرقية تحت حكم الدولة السعودية الأولى في عام ١٧٩٣م/ ١٢٠٨هـ[١].

وعقب رحيل إبراهيم باشا بقواته عن نجد، انتابتها حالة من الاضطراب والفوضى بسبب انعدام السلطة المركزية مما انعكس على الأحساء، وبقيام الدولة السعوديةالثانية على يد مؤسسها تركي بن عبد الله ثم ابنه فيصل بن تركي امتدت حدود هذه الدولة خارج نجد فشملت الأحساء والتي عين عليها السعوديون عمر بن عفيصان أميرا عام ١٨٢٩م/ ١٢٤٥هـ[٢].

وفي عام ١٨٣٦م/ ١٢٥٢هـ أرسل محمد على قوة عسكرية جديدة للمنطقة بقيادة إسماعيل أغا وخالد بن سعود عززها بقوة أخرى بقيادة خورشيد باشا وقد وصلت القوات المصرية إلى الأحساء وعين أحمد السديري أميرا عليها تبعها بعد ذلك دخول القطيف وسيهات لسيادة الحكم المصري الجديد المتمثل في حكم خالد بن سعود.

وهكذا تمكن محمد على من تحقيق سياسته التي رسمها منذ أن عين خالد بن سعود حاكما على نجد ليضمن بذلك ولائه له، كما ظل خورشيد يدير شئون البلاد طوال فترة وجوده في نجد حتى اضطر إلى الرحيل عن المنطقة عائدا إلى مصر عقب تسوية عام ١٨٤٠م/ ١٢٥٦هـ تاركا خالد بن سعود يدير حكم البلاد[٣].

---

(١) العثيمين، المرجع السابق، ص ص ٩٨ - ١٠٠.

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ٩٨ - ١٠٠.
وعرض **حكومة المملكة العربية السعودية**، التحكيم لتسوية النزاع الأقليمي بين مسقط وأبو ظبي والمملكة، المجلد الثاني ١٣٧٤هـ، ص ١٦٧.

(٣) ابن بشر، المصدر السابق جـ ١، ص ١١٣.

واستمرت الأحساء تابعة للدولة السعودية الثانية زمن عبد الله بن ثنيان الذي أعقبته فترة حكم فيصل بن تركي الثانية أي حتى عام ١٨٦٥م/ ١٢٨٢هـ، دخلت بعدها المنطقة عهدا من الفتن والفوضى بين أبناء فيصل بن تركي ترتب عليه محاولة سعود بن فيصل فصل الأحساء عن ولائها لعبد الله بن فيصل، لكي تفقد الرياض جزءا حيويا ومنفذا هاما على الخليج، ومن أجل ذلك لجأ الأخير إلى طلب المساعدة من الدولة العثمانية لإعادته إلى حكم الرياض مقابل اعلان تبعيته لها والتعهد بدفع الجزية. أسرع مدحت باشا لقبول هذا العرض من أجل ضم الدولة السعودية الثانية إلى الدولة العثمانية بحجة إقرار النظام في الأقاليم البعيدة فأرسل حملة من البصرة إلى الأحساء بقيادة نافذ باشا سنة ١٨٧١م/ ١٢٨٨هـ التي استطاعت الاستيلاء على كل أقاليم الأحساء ورفعت الراية العثمانية على قاعدتها في الهفوف. وزار مدحت باشا الأحساء وأعلن أنها أصبحت من ممتلكات الدولة العثمانية وعين نافذ باشا متصرفا عليها وعلى المقاطعات التابعة لها باسم متصرفية نجد.

واستمرت هذه الترتيبات التي وضعها مدحت باشا للأحساء حتى عام ١٨٧٤م/ ١٢٩١هـ حين أدركت الدولة أن الإدارة العثمانية المباشرة في الأحساء ستكون باهظة النفقات فعهدت إلى متصرف البصرة وزعيم قبائل المنتفق ناصر السعدون بإدارة الأحساء بواسطة قوة من القبائل المحلية بدلا من الحاميات العثمانية[1]. وهكذا ظل إقليم الأحساء خاضعا للدولة العثمانية حتى عام ١٩١٢م/ ١٣٣١هـ عندما نجح عبد العزيز في ضمه إلى الدولة السعودية الثالثة.

٥ - العراق:

من المعروف أن العراق خضع للعثمانيين منذ عهد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٤م/ ٩٢٠هـ وكان قبل ذلك خاضعا لشاه فارس (الدولة الصفوية -

---

(١) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص ص ١٣ - ١٤.
وخالد بن جابر الغريب، **منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ**، الطبعة الثانية الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ، ص ص ١٨٨ - ١٩٣.

إسماعيل الصفوي) غير أن حملة السلطان سليم لم تخضع العراق بأكمله. فقد خضع شماله فقط في الموصل وديار بكر وحتى هذه المناطق لم يكن الحكم العثماني مستقرا فيها كل الاستقرار، أما العراق الأوسط والجنوبي فقد ظل في يد الايرانيين، وفي عهد السلطان مراد تمت للعثمانيين السيطرة على العراق كله وذلك سنة ١٦٣٨م/ ١٠٤٨هـ.

وفي عهد التنظيمات العثمانية سنة ١٧٨٩م/ ١٢٩٧هـ قسمت العراق إلى ثلاث ولايات هي: ولاية بغداد والبصرة ولموصل[١]. وظلت هكذا حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

٦ - إمارات الخليج:

ظهر اهتمام بريطانيا بها منذ أيام الحملة الفرنسية على مصر وازداد هذا الاهتمام في أواخر القرن التاسع عشر بسبب تزايد النفوذ الألماني في الدولة العثمانية وحصول الأولى على امتياز سكة حديد بغداد منها مما دفع الإنجليز إلى الوقوف في وجه النشاط الألماني في الخليج وذلك بالاتفاق مع حاكم الكويت مبارك الصباح وتوقيع معاهدة الحماية معه سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ[٢].

أما بالنسبة لقطر فقد كانت تابعة لسلطنة عمان ثم خضعت للدولة العثمانية فيما بين ١٨٧٢ - ١٩١٣م/ ١٢٨٩ - ١٣٣٢هـ عقد اتفاق بين تركيا وبريطانيا تنازلت بموجبه الأولى عن حقوقها في الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان وأخذت الحكومة البريطانية على عاتقها مهمة الاشراف على حكومات هذه الإمارات[٣].

٧ - نجد:

كانت نجد من أقل مناطق جزيرة العرب تأثرا من حيث اختلاط العناصر غير العربية بالسكان العرب المحليين لأنها بعيدة عن مواطن الامتزاج السكاني

---

(١) محمد عبد الرحمن برج، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٤م، ص ص ٣٣١ - ٣٣٢.
(٢) المرجع نفسه، ص ص ٣٣٢ - ٣٣٣.
(٣) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص ص ٣٨١ - ٣٨٣.

المتمثلة عادة في المناطق الساحلية والأماكن المقدسة وعلى هذا الأساس فإن الغالبية العظمى من أهلها كانت تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب، أما الأقلية منهم فكانت فئات متعددة بعضها على الأرجح عربيّ الأصل، لكن أصلها ضاع أو سلب منها لسبب من الأسباب وبعضها من أصول غير عربية أتت إلى البلاد بطرق مختلفة كالرق ومزاولة بعض المهن.

لهذا كانت زعامات البلدان النجدية تنتمي إلى قبائل عربية مختلفة على أن قبيلة تميم احتلت فيما يبدوا مكانة بارزة بين تلك الزعامات، لكثرتها العددية بين السكان ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى. ومن أمثلة الأمراء المنتمين اليها :

أمراء العينية وأمراء ثرمدا، وبريدة وروضة السدير[1]. على أن الأسر التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور في البلدان النجدية وصلت إلى الإمارة بطرق مختلفة :

أن يكون جد الأسرة هو الذي أنشأ البلدة أو أحياها بعد أن هجرها آخرون[2]، وأن يستولي على البلدة بالقوة وينتزع الإمارة ممن كانوا يتولون زعامتها[3]. وفي كلتا الحالتين كانت الإمارة عادة وراثية في الأسرة أو تذهب إلى فرد من أفرادها باختيار منهم، والصراع حول السلطة أمر مألوف في تاريخ جميع الأسر في مختلف بلاد العالم وفي سائر الفترات التاريخية، لذا فالصراع داخل الأسرة الحاكمة في نجد لم يكن أمرا غريبا، وبالتالي كان يؤدي إلى تملك سياسي كنتيجة طبيعية لتلك الأوضاع حتى أصبحت كل بلدة مستقلة بذاتها. والعلاقة مع جاراتها غير ودية في أغلب الأحيان[4].

---

(١) إبراهيم بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، ص ص ٣٥ - ٥٥، ١٠٥.
(٢) ابن بشر، جـ٢، ص ١٨٩.
(٣) الفاخري، المصدر السابق، ص ٦٥، ٦٧.
(٤) العثيمين، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره**، الطبعة الثانية، دار العلوم، ١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ، ص ١٥.

ولقد تعاقبت على الإمارات النجدية المختلفة فترات ضعف وقوة، لكن أقوى إمارة ظهرت في تلك الفترة كانت إمارة العيينة وأميرها عبد الله بن معمر، الذي قال عنه ابن بشر «لن يذكر مثله في زمانه ولا قبل زمانه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث»[1].

وعند ظهور الدعوة السلفية كانت نجد تضم عدة إمارات، أهمها إمارة العيينة بزعامة آل معمر، وإمارة الدرعية بزعامة آل سعود، وإمارة الخرج بزعامة آل زامل، وإمارة الرياض بزعامة دهام بن دواس.

وبعد اتفاق الدرعية ١٧٤٥م/ ١١٥٨هـ وقيام الدولة السعودية الأولى، تسنى لها القضاء على هذه الإمارات المتعددة واحتوائها تحت سيادة الدولة الجديدة. وأدى هذا التوسع إلى الصدام مع العثمانيين خاصة بعد وصولها إلى الحرمين الشريفين ومنه تطلعت إلى الشمال، فوصلت إلى حوران ووقفت على مشارف فلسطين والشام بل وهزمت قوات الدولة التي خرج بها والي الشام عبد الله العظم ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ للحج، وهنا لجأت الدولة العثمانية إلى واليها محمد على الاسترداد سلطتها في شبه الجزيرة، فتوالت حملاته حتى استطاع دخول الدرعية والقضاء على الدولة السعودية ١٨١٨م/ ١٢٣٤هـ. وأصبحت نجد منذ ذلك الوقت تابعة للسيادة العثمانية الاسمية أكثر من عشرين سنة وذلك في ظل الدولة السعودية الثانية، التي ترتب على قيامها ظهور أسرة جديدة في منطقة جبل شمر هي أسرة آل رشيد التي دخلت في صراع مع أسرة آل سعود، انتهى بالأخير إلى الخروج من الرياض والاستقرار بالكويت.

نخرج من هذا العرض، أن سيطرة الدولة العثمانية على المناطق التي سبق ذكرها كانت سيطرة اسمية ولكن القرن التاسع عشر شهد تغيرا في سياسة الدولة العثمانية تجاه تلك المناطق سواء كان هذا التغير تطبيقا لحركة التنظيمات التي

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٣٦.
والعثيمين، المرجع السابق، ص ص ٤٥ - ٤٦.

كانت تهدف إلى تقوية قبضة الدولة على ولاياتها أو استجابة لمصالح ألمانيا التي صارت حليفة للدولة العثمانية، تلك المصالح التي تهتم بهذه المنطقة لمجاورة موقعها الجغرافي، ولذلك نجد أن الدولة العثمانية بدأت تتبع إزاء هذه المناطق سياسة تهدف إلى اثبات ملكيتها لها، وتدعيم سياسة الدولة عليها ماديا وأدبيا. ولكنها في كثير من أجزاء شبه الجزيرة العربية وبخاصة في منطقة الخليج كانت الجهود العثمانية تصطدم بالسياسة البريطانية تلك السياسة التي كانت تقدر هي الأخرى أهمية هذه المنطقة باعتبارها طريقا حيويا يؤدي إلى الهند، ومن هنا وقفت بريطانيا ضد الدولة العثمانية في أية محاولة ولإعلاء نفوذها في المنطقة، واستخدمت في ذلك شتى الوسائل التي تتحيها لها الظروف سواء اللجوء إلى القوة إذا استطاعت أو استغلال الخلافات المحلية بين أمراء حكام المناطق والمنازعات القبلية داخل المنطقة الواحدة.

ثانيا : حالة اللامركزية السياسية والقوى المحلية والخارجية التي صنعت هذه الحالة في شبه الجزيرة.

اتسم الوضع في شبه الجزيرة العربية بحالة من اللامركزية التي سادتها قبل دخول عبد العزيز الرياض، ولعل من دواعي التاريخ لتلك الممارسة السياسية التي اطلعت بها الرياض كعاصمة مركزية لأنحاء نجد في مرحلة مبكرة ثم كقاعدة مركزية في مرحلة لاحقة للدولة الوليدة التي توحدت بعد ما يقرب من ثلاثة عقود، نقول إن من دواعي التأريخ لتلك الأحداث أن نلقي نظرة شاملة على الأوضاع السائدة في شبه الجزيرة العربية من حيث الصراع بين الفصائل المتناحرة والمتربصة بمقاليد السيادة على قبائلها وعلى المؤثرات التي امتدت أبصارها إلى المنطقة إما لتحتويها أو لأن تجعل منها عمقا لنفوذها وتابعا لسياستها وحركتها.

وقد تبدو معالم الأوضاع السياسية بالمفهوم التقليدي بتعبير السياسة غير واضحة أو محددة في ظل فترات الصراع أو التصدي التي واكبت محاولات صمود الدولة في نجد في الفترة ما بين تدمير الدولة السعودية الأولى في الدرعية ١٨١٨م/ ١٢٣٤هـ وحتى المحاولة الأولى لاسترداد الرياض ثم انجاز الاستيلاء عليها في عام ١٩٠٢م/ ١٣١٩هـ، ذلك لأن مجتمع البداوة الذي كان هو الطابع المنفرد في شكل الحياة في هذه المنطقة كان واقعا يؤكد حالة اللامركزية السياسية غير واضحة المعالم أو محددة الأهداف.

كذلك فإن أثر الدعوة الدينية التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب واحتضنها آل سعود إلى أن صارت منهاجا إسلاميا لممارسة الحكم في البلاد قد شكلت النمط الديني والاجتماعي لسكان نجد، وظهرت مؤثراتها حينذاك بشكل إيجابي من حيث تكوين الكيان المادي السياسي الذي أمكنه الصمود أمام الطبيعة السكانية ذاتيا في حين كان تأثير القوى المحيطة بها من خارج حدودها ونخص منها الدولة العثمانية وبريطانيا قوياً، الأمر الذي عرضها للانقسامات الداخلية والصراع الأسري[1].

وما كان يمكن للقوى المحلية بحركاتها ونزعتها أن تصل بشبه الجزيرة إلى حالة الامركزية السياسية - قبل دخول الملك عبد العزيز إلى الرياض - لولا تدعيم القوى الدولية المحيطة بشبه الجزيرة من الخارج لتقوم بالأدوار لمصالحها القبلية والمحلية دون أن تخطط لأن تعمل هذه القوى المحلية المتصارعة دوما على تحقيق نوع من التبعية السياسية اللإرادية لتلك القوى بقدر ما تنجح هذه الخطط أو تلك، وإن اتسمت هذه التبعية بعدم الثبات أو الاستمرارية إلا أنها قد حققت بالفعل نتائج مرحلية خدمت في كثير من الأحيان أهداف الأصابع التي تحكم حركتها من خارج نجد.

---

(١) خير الدين الزركلي، المرجع السابق، جـ١، ص ١٠٣.

فعندما امتد الصراع لأكثر من قرن تـوارثا بين القوى المتنافسة على السيادة في نجـد كـان اتجاه هـذا الصراع لا يخرج إلى حد متعـاظم على منـاوأة آل سعـود في الرياض وهـو ذات الهدف الذي كان محورا لخطط القوى الخارجيـة وما تعده من وسائل لاحتواء هذه الأسرة أو تحجيمها إن صعب عليها حجب السيادة وشرعية الولاية عنها .

فالمناوىء التقليدي لآل سعود منذ تلك الفترة المبكرة هم آل رشيد وقد دأبت حـركتهم على اتخاذ الـريـاض قـاعدة انطـلاقهم لانتـزاع السيـادة داخل نجـد وانطـلاقهم لمد نفـوذهم على أنحـائهـا وفي الأحسـاء والقصيـم، فإنهم بـذلك يعتمـدون على الـدولة العثمانيـة في متـابعـة بقيـة عناصر آل سعـود، حتى لقـد استحثـوا العثمانيين لاحتلال الكـويت حيث يقيم آل سعـود بعد أن طـردوا من الرياض وسدت الدولة العثمانية الأحساء في وجههم[1] .

أمـا عن أهم القـوى التي لعبت دورهـا في التأثير على حـالـة الـلامـركـزيـة السيـاسية التي سبقـت الإشارة إليهـا بـاستقطاب التيـارات الـداخلية الأقـوى بـالتغلب على العنـاصر المنـاوئة في الـداخل ثم في دأبها على احتـواء الأقـوى أو تحجيمه في إطار عام يضم دويـلات أخرى ليعطي الجميع محصلة تكرس تحقيق مصالحهـا الإقليمية والدوليـة، فقد انفردت بـريطانيـا وكذلك الدولـة العثمانية واختراق الكيانات المتنافسة داخل نجد والرياض لتحقيق تلك الأهداف .

وترى بـريطانيـا وهي تسعى نحو احتواء الإمـارات المتناثـرة في الخليج العربي لتنفرد دون غيرها بالسيطرة على طرق مواصلاتها مع مستعمراتها في الهند وجنوب شرق آسيـا . ثم لتأكيـد أوضـاعهـا الإقليمية والإستراتيجيـة المستقبليـة بشقيهـا السيـاسي والاقتصـادي فيـه تتطلع إلى داخل نجـد من حول الـريـاض فتكـون حـركتها في اتجاه أن لا تنفـرد الدولـة العثمانية بـالسيطرة والسيـادة على أدواتها في

---

(١) أبو علية، **الدولة السعودية الثانية**، المرجع السابق، ص ص ١٨٧ - ١٨٨، ١٩٥ - ١٩٤ .

نجد. فعندما زاد طموح ابن رشيد وحاول ضم الكويت إلى سيادته تسانده في ذلك الدولة العثمانية، أسرعت بريطانيا في استجابتها لحاكم الكويت لتكون بلاده محمية بريطانيا، وبذلك تكون قد أوقفت المد العثماني وأداته ابن رشيد عند حدود الأحساء.

وفي حالة الدولة العثمانية فإن حالة اللامركزية السياسية التي أوجدتها في شبه الجزيرة العربية كانت في مجمل أهدافها أن تحكم سيطرتها وسيادتها الدينية على شبه الجزيرة العربية، فلا يعود آل سعود مرة أخرى ولا أنصار الدعوة السلفية الذين يرون تأصيل الخلافة إلى العربية وليست إلى العثمانية، ذلك لأن آل سعود لا يقرون مبدأ خلافة آل عثمان في حين أن نجد عندما احتضنت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جاهرت بإمامة آل سعود ولأن ذلك في حد ذاته خروجا عن طاعة العثمانيين في المنطقة وخطرا لا بد من العمل على احتوائه[1].

ولفترة استخدمت الدولة العثمانية آل رشيد الموالي لهم في سيادته على نجد كما ذكرنا في وضع سياستهم هذه موضع التنفيذ في نجد، أما في الحجاز فقد ركنت إلى الاستفادة من طموح شريف مكة ورغبته في سيادة شبه الجزيرة العربية ليكون شوكة تحد من حركة الرياض حتى لا توفر لها الاستقرار السياسي أو الإقليمي، وفي الشرق إحتوت الدولة العثمانية الأحساء لتأمين نفوذها في العراق ولتقوية استراتيجيتها في الخليج، ولكي تكون عمقا استراتيجيا لسياستها في تحقيق الحد من النفوذ البريطاني في حركته لاحتواء دويلات الخليج[2]، ومن ثم ساعد هذا التصرف العثماني في شبه الجزيرة العربية على تأكيد حالة اللامركزية السياسية التي نحن بصدد التأريخ لها.

ويجدر بنا الإشارة إلى بعض الحقائق الهامة التي يجب وضعها في الاعتبار عند معالجة قضايا هذا الفصل وهي:

---

(١) أحمد طربين، **الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر**، ص ١٨٠٠ - ١٩٥٨، ،مشق، ١٩٧٠م ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) الزركلي، المرجع السابق، جـ١، ص ١٤٩.

١ - أن الرياض عندما بدأت نشاطها السياسي لم تكن عاصمة لدولة مستقة ذات حدود معلومة وسياسة مرسومة وعلاقات دولية محددة، وإنما بدأت الرياض نشاطها السياسي نواة لإمارة صغيرة وإن أصبحت فيما بعد قاعدة لبناء سلطنة ثم دولة شاسعة.

٢ - إن الرياض قادت حركة التوحيد ثم التحول والبناء من ألفها إلى يائها فمنها خرجت الجيوش لجمع شمل القبائل المتناحرة، وفيها رسمت السياسات لبناء المجتمع الداخلي المستقر على انقاض المجتمع البدوي وحددت خطوطها السياسة في علاقاتها الدولية ومواجهة المتناقضات فيها.

وكان إصرار (الأمير) عبد العزيز على دخول الرياض في ١٩٠٢م/ ١٣١٩هـ بعد محاولة أولى عام ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ لم يقدر لها النجاح، بداية على طريق استرداد ملك أسرته انطلاقا نحو بناء دولة جديدة على أنقاض دولة متداعية، دار الصراع فيها بين عمومته إلى حد الاقتتال فيما بينهم حيث استغل ابن رشيد هذه الصراعات لاحتواء نجد مدنا وقرى.

ثالثا : دور الرياض التوحيدي ١٩٠٢م - ١٩٣٢م/ ١٣١٩ - ١٣٥١هـ:

عندما نؤرخ للدور التوحيدي الذي قامت به الرياض ليكتمل بناء الدولة سوف يتضح لنا ما إذا كان في فكر عبد العزيز ذاك التصور الذي حقق قيام دولة بهذا القدر أو الحجم أم هي الظروف قد مهدت له وساعدته على امتلاك الفرص المواتية الواحدة تلو الأخرى التي مكنته من فرض الوحدة في نجد أساسا بدءا من الرياض.

وإذا كان التاريخ سوف يتحدث عن الدور التوحيدي فإن ذلك معناه حركة الرياض داخل نجد وسياستها في ترتيب أوضاعها الداخلية، إلا أن ذلك لم يكن على وجه الإطلاق بمعزل عن المناوأة بل المواجهة غير المباشرة للقوى المتربصة المحيطة بحدودها، ذلك أن حركة الرياض ونشاطها كان لتصفية

العناصر التي تعتمد عليها تلك القوى لتنفيذ مخططاتها في المنطقة الأمر الذي أظهر ذلك الارتباط الوثيق بين حركة القوى المعارضة لآل سعود في الرياض ونجد وبين الدول الأجنبية ذات المصالح في المنطقة ونخص بها كما ذكرنا من قبل بريطانيا والدولة العثمانية.

والرياض في حركتها تلك اتجهت إلى ضم الأحساء وتصفية مصادر القلق في القصيم وفي الجنوب ردت مطامع اليمن في عسير ثم لم تسمح بالتجاوزات التي قام بها الاشراف في الحجاز وذلك بمنع الحجاج من رعايا الرياض وهي تحمل رسالة الدعوة السلفية، وهذا مما سنتعرض له تفصيلا ونحن نؤرخ لدور الرياض التوحيدي.

فعند استيلاء الأمير عبد العزيز على الرياض ١٩٠٢م/ ١٣١٩هـ وحتى إعلان قيام المملكة العربية السعودية ١٩٣٢م/ ١٣٥١هـ نستطيع أن نؤكد أن الرياض كانت هي الوحدة السياسية ذات الفعالية والديناميكية الأساسية حيث تمثل الكيان السياسي المنفرد وفي كل الأنحاء وعلى ذلك فإننا عندما نؤرخ للعلاقات السياسية بين الرياض والآخرين، وعندما نتحدث عن دورها التوحيدي فإننا وبكل التأكيد لا نكون قد خلطنا بين معالجة سياسة الرياض كعاصمة سياسية وبين التأريخ لسياسة الدولة (فيما بعد).

فقد كانت الرياض من ١٩٠٢ - ١٩٣٢م هي الدولة والملك بمجلسه الخاص يمثل السلطة تشريعا وتنفيذا.

ولقد ثبت أن الدول المحيطة ذات المصالح وعلى رأسها بريطانيا قد خاطبت الرياض في شخص الملك عبد العزيز في فترة لاحقة لاستيلائه على الأحساء والقطيف، عندما جاور الكويت وقطر والبحرين ثم تتعامل الدولة العثمانية معه أيضا في صراعه مع ابن رشيد ثم تتوالى عليه عروض بريطانيا وفرنسا والجميع يعتمد على أهدافه المنبثقة عن وضعه السياسي والجغرافي والتاريخي ولم يكن له قاعدة غير الرياض.

وفي ذلك أيضا نرى أول اجتماع بين وكيل بريطانيا السياسي في البحرين يتم في الرياض ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ مبعوثا من حكومته والحديث عن مصالح الفريقين وخطر امتداد النفوذ الألماني من العراق إلى الخليج. ثم مرة أخرى وكيلها السياسي في الكويت كولونيل هاملتون يفد إلى الرياض ١٩١٣م/ ١٣٣٢هـ وأيضا عرض فرنسي يحمله مبعوث فرنسي إلى الرياض في مارس ١٩١٣م بمساعدة مالية سنوية كبيرة مقابل تأمين حرية تجارة الأسلحة في العقير والقطيف. وهكذا تتوالى الاتصالات فتعقد بريطانيا أول معاهدة مع الرياض في عام ١٩١٥م (العقير) [١] والتي سيرد عرضها فيما بعد.

كل ذلك في حين لم تكن معالم الدولة قد ظهرت أو تحددت حتى النية في قيامها بالشكل التقليدي إنما كان الكيان السياسي الموجود في ساحة الأحداث هو الرياض (والملك).

وعندما بدأت الرياض في ممارسة دورها التوحيدي نرى أن الدولة العثمانية قد أرغمت على الوضع الجديد في الرياض باستيلاء عبد العزيز عليها وخروجها من سيطرة ابن رشيد، فقد حاولت سدّ الطريق أمام زحف عبد العزيز لتحقيق ذلك الدور التوحيدي ففي مرحلة أرسلت جيشا لمساندة ابن رشيد وانتهت بالفشل في معركتي البكيرية والشنانة اللتين تعتبران ضمن العلامات الفاصلة في تاريخ نجد عام ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ [٢].

وفي مرحلة أخرى تخلت عن ابن رشيد للدخول في مفاوضات مع الرياض على أساس إقرار سلطة عبد العزيز على ما في يده في نجد على أن يكون فيها مستشارون من الدولة العثمانية فرفضت الرياض شروط الاتفاق المقترح ثم انهارت محاولة ثانية لمفاوضات جديدة، الأمر الذي أدى إلى استئناف القتال مع

---

(١) الزركلي، المرجع السابق، جـ١، ص ص٢٧٩ - ٢٨١.
ROBERT LACEY, OP. CIT, PP. 76-82.

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٤٧.

ابن رشيد والذي انتهى بمقتله في موقعة روضة مهنا عام ١٩٠٦م/ ١٣٢٤هـ، على أن مظاهر العداء مع آل رشيد لم تنته بذلك فقد عادت الصراعات بين الرياض و إمارة الجبل مرة اخرى[١].

وقد لاقت الرياض في تلك الآونة مصاعب جمة ومشاكل كثيرة مختلفة الجذور ولا سيما من مكائد السلطات العثمانية وتحريضها بعض القبائل والفئات للتمرد ضد الرياض بعد إمدادها (القبائل) بالسلاح والدعم المادي كرد فعل لجلائها عن القصيم واهتزاز هيبتها في جزيرة العرب.

وعلى ذلك فقد قامت حركات التمرد والارتداد في عدد من الإمارات التي كانت موالية للرياض من بينها إمارة بريدة. التي شق أميرها عصا الطاعة وأخذ يتقرب من خصومها لذا فقد هاجمته الرياض في حملة تأديبية واقتحمت قواتها عليه حصنه بعد مقاومة قصيرة انتهت باستلامه وطلب العفو من حاكم الرياض الذي أجابه لطلبه حيث عزله وعين أحمد بن محمد السديري بدلا عنه[٢].

وتأتي الذروة في تفكير الرياض بضم الأحساء وانتزاعها من سيطرة العثمانيين، وتعتبر فكرة ضم الأحساء إلى سيطرة الرياض حدا فاصلا أيضا في علاقة الرياض مع بريطانيا فقد اعترض ظهور الرياض على تلك الصورة المؤثرة في مسار الاستراتيجية البريطانية في المنطقة لفترة لم تحسن فيها بريطانيا تقديرها لما ستتطور إليه قدرات الرياض.

---

(١) محمد منير البديوي، **المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود**، الطبعة الأولى، مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٩٧٧م/ ١٣٩٧هـ، ص ص ١٢٤ - ١٢٦.
ولوريمر، دليل الخليج، **القسم التاريخي**، جـ٣، قطر، ١٩٧٥م، ص ص ١٧٠٤-١٧٠٥، ١٧٠٩-١٧١٠، ١٧١٦.
وأمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص١٥٤ - ١٦٠، ١٦٨.

(٢) IOR R/15/1/557, P 44. <<POLITICAL RESIDENCY, BUSHIRE IBN SAUD AND IBN RASHID>>.

وهـذا مـا يكشف عنـه رد فعل بـريطـانيـا حيـال الاتصـالات التي دارت في البحـرين بين عبد الـرحمن بن سلمان* من قـادة الأحساء مندوبـا عن الـرياض والسيد فاسكنـي مندوبا عن بريطانيـا، والتي كانت تهدف إلى اطلاع بـريطانيا على الأحـوال الداخليـة في الأحساء من حيث تـذمر الأهـالي من الحكم العثماني وتقرير الانضمام إلى الرياض قد أصبح أمرا مؤكدا(١).

وكان الاتصال الأول يدور حول ضرورة دعم تحرك الرياض لضم الأحساء إذا ما قامت تركيا بتحرك مضاد، وقـد رأت بريطانيا عدم تشجيع الرياض على مثل هذه الخطوة(٢)، رغم تجاوب حكومـة الهند البريطانية مـع نوايا الريـاض، وقد تـوسمت فيها القـوة الصاعـدة في المنطقـة والتي يمكن أن تكون سنـدا لتحقيق الاستقرار للسياسة البريطانية في شبه الجزيرة.

وفي عـام ١٩٠٦م/ ١٣٢٤هـ أعـادت الـرياض إرسـال مبعـوث آخـر هـو مساعـد بن سويلم لإطـلاع مندوب بـريطانيـا في البحرين على مـدى القدرات التي وصلت اليها الرياض على أثر انتصـاراتها المتوالية في نجد وضرورة الاستفادة من هـذه الانطلاقـة للقيام بضم الأحسـاء والقطيف، ويعيد طلب الـدعم من بيرس كوكس. المندوب البريطاني في البحـرين غير أن هذا المندوب لم يستطع أن يلبي نداء الرياض وأفادة بأنه في موقف لا يستطيع معه الاجابة على عرضها.

وعندمـا تمكنت الرياض من ضم القصيم، وأصبحت تهدد الـوجود العثماني في شبه الجزيرة إلى حد أن دفعت القـوات العثمانية إلى خارج نجد حيث وصلت إلى المدينة المنورة، وعـاودت الرياض الحوار مع بريطانيـا حول إخراج العثمانيين

---

* عن أعيان مدينة الهفوف، وعلاقته بدار المعتمد البريطاني قوية وقديمة.
انظر محمد جلال كشك، المرجع السابق، ص ٣١٥.

(١) تركي بن محمد بن سعـود الكبير، علاقة **بريطانيـا بالملك عبد العـزيز آل سعود**، بحوث المؤتمر العالمي عن تـاريخ الملـك عبـد العـزيـز، جـامعـة الامـام، الـريـاض، الاثنين في ٢/ ١٢/ ١٩٨٥م ٢٠/ ٣/ ١٤٠٦هـ، ص ١.

(٢) TROELLER,GARY, **THE BIRTH OF SAUDI ARABIA**, FRANK CASS LONDON, 1987, P. 39.

من الأحساء مما سيكون في صالح الاستراتيجية البريطانية الرامية إلى تقليص نفوذ العثمانيين في المنطقة إلا أن بريطانيا رأت أيضا في هذه المرة عدم إثارة المشكلات مع تركيا في هذا الوقت بالذات[1].

وفي عام ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ بحثت الرياض تصوراتها حول موضوع الأحساء للمرة الأخيرة مع بريطانيا من خلال الكابتن شكسبير الوكيل السياسي لبريطانيا في الكويت الذي قدم إلى نجد لتقصي الحقائق والتطورات السياسية، والوقوف على مقدرة الرياض في السيطرة على زمام الأمور، وأيضا لم تستطع الرياض الحصول على وعد من بريطانيا لمساندتها في تحركها لضم الأحساء الأمر الذي أيقنت معه ضرورة الاعتماد على قدراتها الذاتية واستغلال انشغال الدولة العثمانية في حربها ضد ايطاليا ١٩١٤م/ ١٣٣٣هـ في شمال افريقيا، وأيضا في حرب البلقان واضطرارها لاستدعاء أجزاء كبيرة من قواتها المرابطة في بغداد والبصرة ثم مفاجأة قوات الأتراك في الأحساء والقضاء على مقاومتهم التي انتهت بضم الأحساء ١٩١٣م/ ١٣٣٢هـ[2] معتمدة على قوات شبه نظامية وقوات من أهل الهجر الذين كانوا يسمون (بالإخوان) وسارت هذه القوات نحو الهفوف مركز الإدارة العثمانية الرئيسي في المناطق الشرقية القريبة من الخليج العربي، حيث كانت هذه المناطق تشكل جزءا هاما من الدولة السعودية الثانية واصطدمت قوات الرياض مع الحامية العثمانية في الهفوف[3]، واستولت على الكوت* وكانت أهم شروط التسليم هي أن تضمن الرياض حياة من كانوا في

---

(١) تركي محمد، المرجع السابق، ص ص ٢ - ٤.

(٢) دلال مخلد الحربي، **علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا ١٩١٥-١٩٢٧م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بالرياض، ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ، ص ٤٣.
كشك، المرجع السابق، ص ص ٣٣٩ - ٣٤٠، ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٣) LIPSKY, OP. CIT, P. 144.
IOR, R/15/2/31 PP. 66-74, FROM ABDUL AZIZ BIN SAUD TOHIS BRITANNIC MAJESTY'S CONCUL GENERAL AT BUSHIRE, 1913 POLITICAI AGENCY, BAHRAN IBN SAUD.

* الكوت قلعة بناها سعود بن عبد العزيز بن محمد عام ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ بعد أن فتح مدينة الهفوف وانتصر على صاحبها ابن عريعر، والكوت كلمة برتغالية بمعنى القلعة.
انظر. حافظ وهبه، جزيرة العرب ص ٨٠.

الحصن وفي المقابل تجلي المقاتلين عن المنطقة دون أن يحملوا معهم شيئا من الأسلحة أو العتاد أو الذخيرة، وتمت الموافقة على الشروط وانتقلت الحامية إلى العقير ومنها سافرت إلى البحرين ومن هناك تدبر العثمانيون أمر ترحيلهم إلى البصرة[١].

بسقوط الهفوف استسلمت لقوات الرياض باقي الحاميات الصغيرة المتمركزة في مواقع متفرقة من منطقة الأحساء[٢].

وهكذا وجدت الدولة العثمانية أن الرياض أصبحت هي صاحبة السيادة والسلطان دون منازع على كامل مناطق نجد والقصيم والأحساء، فاضطرت إلى الرضوخ للأمر الواقع وحاولت استرضاءها والتقرب إليها ولو ظاهريا فكان أن منحت حاكمها لقب (الباشاوية) واعترفت هي وبريطانيا به حاكما على نجد وتوابعها ثم اعترفت به بريطانيا في وقت لاحق سلطانا على المناطق التي كانت تحت نفوذ حاكم الرياض[٣]. هذا في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تتصل سرا بآل رشيد وتمدهم بالسلاح وتحرضهم على مناوأة الرياض ومنافستها[٤].

وقد ترتب على فتح الأحساء والذي تميز بأنه كان موجها بالكامل ضد بريطانيا وأن بدت ظاهريا عملا عسكريا ضد الأتراك ما يلي:

١ - أن فتح الأحساء أضاف بعدا جديدا لسياسة الرياض ومجالا ايجابيا في أول خطواتها في العلاقات الدولية، إذ أصبحت الرياض على اتصال مباشر مع مجريات الأمور في الإمارات المجاورة والكويت وبالتالي فقد

---

(١) FO 371/1820 26541 (FROM COX TO THE SECRETARY TO THE GOVERNMENT OF INDIA) MAY 15/1913.
- TROELLER, OP. CIT, PP. 43-44.

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ٢٠٥ - ٢١١.
FROM (POLITICAL AGENT, KUWAIT G.C. MORS.

(3) IOR R/15/5/28, PP. 5-6 TO (ABDUL AZIZ BIN SAUD).

(٤) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

أصبحت على عتبة أبواب السياسة الإنجليزية في المنطقة بأبعادها المتعددة.

٢ - هذا الفتح كان بدءًا للتبادل الحدودي بين الرياض وجيرانها، فهناك حركة تجارية وبالتالي أصبح للدولة أول مواردها الجمركية المنظمة.

٣ - أما على الصعيد السياسي فإن ضم الأحساء للدولة الحديثة قد أوجب عليها إعادة حساباتها بطريقة أخرى لتتوافق مع تطلعاتها في بناء الدولة[١].

وعندما وضعت الحرب العالمية أوزارها وجدت الرياض أن المنطقة التي تقع تحت سيطرتها والتي تضم نجد والقصيم والأحساء قد أصبح جزء كبير منها واقعا بين مناطق خصمين لا يستهان بهما:

الأول: في الشمال وهم آل رشيد وعاصمتهم حائل التي تبسط نفوذها على مناطق جبل شمر والأماكن المجاورة.

الثاني: هو الشريف حسين صاحب السلطة والنفوذ على الحجاز وتوابعها وما تضم هذه المنطقة من أماكن مقدسة لها خطورتها.

أما الحقيقة التي نصل اليها بالنسبة لبريطانيا فهي أن ترددها في الاستجابة لنداءات الرياض المتكررة حول ضم الأحساء يرجع إلى أنها رأت أن نجاح الرياض وقوتها في مثل هذه المرحلة المبكرة يمثل خطرا على مصالحها في الخليج حيث لم تنته بعد من تحقيق وترتيب تقليص الدور العثماني في المنطقة عسكريا وسياسيا ليصبح لها (بريطانيا) مطلق الأمور والسيطرة، إلا أن الرياض وقد أشرفت على الخليج بضمها للأحساء أصبحت واقعا يعترض الاستراتيجية البريطانية في المنطقة وكان لا بد من خطط بريطانية جديدة لمواجهة هذا الواقع ومحاولة احتوائه أو على الأقل تحديده مرحليا.

---

(١) الزركلي، المرجع السابق، جـ١، ص ١٤٩.
وكشك، المرجع السابق، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

هذا في الوقت الذي كانت تتذبذب فيه السياسة البريطانية وتتقلب نحو الرياض بعد ضم الأحساء وظهورها كقوة مؤثرة في الأحداث، فقد عملت بريطانيا على أن تهيء للرياض أسبابا تؤرقها في الداخل وتجعلها خطرة لسبب أو لآخر لقبول ما يطلب منها من تنازلات أو تعهدات، وكان هذا التقلب والتبدل قصدا من بريطانيا فتحدد طريقة تفاعلها معها على أساسه، ثم لتشعر دائما بحتمية ملائمة سياستها مع الاستراتيجية البريطانية في المنطقة لتحقيق دور محدد فيها يكون مطلوبا لها أن تلعبه.

لذلك نراها في إحدى المراحل تؤيد الرياض في القضاء على بقايا آل رشيد ثم في فترة تالية تعترض تقدمها للقضاء على فيصل الدويش*، ثم تعمل على نقل الصراع مع الرياض إلى آفاق أخرى، فأوعزت إلى الشريف حسين في الحجاز بالتنكر للدولة العثمانية وأمدته بالمال والسلاح، ثم أغرته بقيادة الثورة على العثمانيين يعلن بعدها الانفصال عن الخلافة العثمانية وإعلان الخلافة العربية[1]. وكان ذلك في حد ذاته يشكل عنصرا مؤرقا لنهضة الرياض، هذا في الوقت الذي أبقت فيه بريطانيا على علاقتها الودية مع الرياض أثناء هذه الثورة حرصا منها على تحييدها في صراع الشريف حسين مع الأتراك.

ولاستكمال إحكام الحلقات حول الرياض عقدت بريطانيا مع الإدريسي الذي وضع يده على إقليم عسير بعد مباحثات ومفاوضات انتهت بمعاهدة جيزان ٣٠ أبريل ١٩١٥م/ جمادي الآخرة ١٣٣٤هـ أثبتت بها وجودها في

---

* فيصل بن سلطان بن فيض بن نايف الدويش، آخر شيوخ مطير، ومن كبار أصحاب الثورات في نجد، وكان فيصل بدويا، فيه شراسة ودهاء واعتزاز قام بزعامة مطير بعد أبيه وصحب ابن سعود (عبد العزيز) في صباه، وخالفه عام ١٩١٢م/ ١٣٣١هـ فقصد أطراف العراق بجماعة من عشيرته، فطاردته السلطات العثمانية، فعاد إلى نجد بعد سنتين، وانزله ابن سعود في الأرطاوية «وهي دار هجرة كبيرة للإخوان بين الزلفي والكويت» واشترك مع عبد العزيز في كثير من الغزوات ولكنه اختلف معه في النهاية، وكان مصيره السجن في الأحساء ١٩٣٠م ومات بعد سبعة أشهر من حبسه.
انظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، ص ١٦٦.

(١) الزركلي، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز**، جـ١ مرجع سابق، ص ٢١٧.

الجنوب، ثم تقدمت القوات البريطانية حتى بلدة (القرنة)* وذلك بعد احتلالها البصرة، وبذلك تمت لها السيطرة على الخليج العربي، وقد أتاح لها ذلك القدرة على تهديد الأحساء والضغط على الرياض، إذا دعت الضرورة بحصار بحري وبذلك كان التواجد البريطاني حول الرياض شمالا وجنوبا إلى جانب الخليج شرقا[1]. وذلك بدافع العمل على تأمين مصالحها في الخليج وحيال قبائل العراق إلى جانب سلامة خطوط مواصلاتها في الهند[2].

ولا شك أن بريطانيا كانت قد وضعت الرياض تحت بصرها منذ بدأت إلى أن نجحت في ضم أجزاء نجد، ولم تكن رحلات ومباحثات مبعوثها الاستطلاعية، مثال شكسبير وفلبي لتذهب هباءا دون التخطيط لغنيمة من الرياض.

وبعد مباحثات مع بيرس كوكس تم الاتفاق على عقد معاهدة في العقير، عرفت باسم معاهدة دارين في ٢٦/ ديسمبر/ ١٩١٥م ١٨/ صفر ١٣٣٤هـ.

وقد اختلفت الآراء حول هذه المعاهدة لما فيها من نصوص تبدو جائرة في حق سيادة الرياض المتكاملة على أراضيها التي استردتها، وتحجيم معاملاتها وعلاقاتها الدولية والداخلية بحيث ترتبط وتدور في فلك الاستراتيجية البريطانية في المنطقة لا سيما وقد أفصحت ظروف الحرب العالمية عن ضرورة تعميق وترسيخ تلك الاستراتيجية.

وهنا لا بد لنا من وقفة على معاهدة دارين وتحليل بنودها والتي نصت على:

١ - اعتراف بريطانيا بسيادة الرياض على نجد والأحساء والقطيف والجبيل وتوابعها وتعترف بسيادة حاكمها (عبد العزيز) على قبائلها ويتوارث

---

* في العراق، حيث يلتقي نهري دجلة والفرات في شط العرب.

(١) صلاح الدين المختار، **تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها**، جـ٢، دار الحياة، بيروت، ص ص ١٧٢ - ١٧٣.

TROELLER, OP, CIT, PP. 86 - 91

(٢) حافظ وهبه، **خمسون عاما في جزيرة العرب**، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٦٠م، ص ص ٥٥ - ٥٦.

TROELLER, OP, CIT, PP. 91 - 92

الحكم بين أبنائه وخلفائه على ألا يكون الحاكم المرشح منهم للحكم مناوئا للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه.

ونرى في هذا البند أن بريطانيا تقرر أمرا واقعا من حيث السيادة على المناطق التي وردت في المعاهدة، وكأنها تحدد أراضي الدولة الحديثة بما وصلت اليه حين توقيع هذه المعاهدة في ضم أجزاء ما زالت جيوبا لمقاومة سلطانها داخل نجد. وفي الوقت نفسه الذي تشير فيه إيحاءات المعاهدة بخطر التطلع إلى الحجاز بالضم أو بسط النفوذ عليها، وهذا يؤكده البند الخامس الذي سيأتي ذكره فيما بعد ذلك. كما أن بريطانيا عندما تضع للحاكم من الورثة شروطا ومواصفات فأن ذلك يعتبر تدخلا في صميم السيادة الخاصة للدولة عندما تشترط استمرارية الولاء لها بين ورثة الحكم في الدولة الحديثة.

٢ - تتعهد بريطانيا بمعاونة الرياض إذا ما وقع عليها أي اعتداء من دولة لم تخطر الحكومة البريطانية أو تراجعها في ذلك حتى يكون أمامها فرصة لتسوية الخلاف. يتضح لنا أن بريطانيا في هذا النص لا تأخذ موضوع معاونة الرياض معاونة مطلقة ضد أي اعتداء بل أرادت بهذا النص رعاية سيادتها على المنطقة بالدرجة الأولى إذ لا تسمح بأي تدخل خارجي في مناطقها تلك، إلا إذا كان تجاوز إحدى الدول أراضي الرياض (كدولة حديثة) محققا لهدف أو مصلحة لشامل السياسة البريطانية وبعد موافقتها فهذا أمر لم يتعهد به مفهوم هذا النص.

٣ - تتعهد الرياض بالامتناع عن أي اتفاق أو معاهدة مع أي دولة أجنبية مع تبليغ الحكومة البريطانية بأي تدخل من قبل أي دولة في الأراضي المذكورة سابقا.

٤ - تتعهد الرياض بعدم تسليم أو بيع أو تأجير أو التنازل عن أي جزء من أراضيها (أو منح امتياز) لأي دولة أجنبية أو رعايا دولة أجنبية دون رضا

الحكومة البريطانية، كما تتعهد باتباع مشورتها (الحكومة البريطانية) في هذا الأمر.

ونستخلص أنه بهذين البندين تعتبر الرياض في حكم إحدى المحميات أو الدويلات التي تدور في فلك بريطانيا سياسيا وعسكريا واقتصاديا، وبهذا أيضا تكون بريطانيا قد عقدت معاهدة مع الرياض بنفس روح وأهداف تلك المعاهدات التي عقدتها مع إمارات الخليج.

٥ - تتعهد الرياض بحماية الحجاج أثناء ذهابهم إلى الأراضي المقدسة وإبقاء الطرق المؤدية اليها مفتوحة.

وهذا أيضا يعتبر تدخلا بريطانيا في الشئون الداخلية للدولة الناشئة، فضلا عن كونه اهدارا لحق الرياض في مزاولة سيادتها الأمنية في الداخل في الوقت الذي تظهر بريطانيا بهذا النص نفسها حامية للمسلمين وعقيدتهم الإسلامية.

٦ - تتعهد الرياض بعدم الاعتداء على الإمارات التي تحت الحماية البريطانية في الخليج، وهي الكويت والبحرين وقطر وسواحل عمان، كما ستعين الحدود مع الدولة الحديثة وبين تلك الإمارات فيما بعد.

٧ - تتفق بريطانيا والرياض على عقد معاهدة أخرى بالتفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة[١].

وفي مجمل الأمر فإن الرياض عندما اضطرت إلى عقد هذه المعاهدة لم تكن تمتلك من أدوات السياسة وصناعها ومستشاريها ما يجنبها حبائل بريطانيا في الوقت الذي كان موقفها بعد موقعه جراب ومناوشات وقتال العجمان لا يساعدها إن أرادت أو استطاعت على فرض شروطها، وإنما اعتبرت أن هذه المعاهدة خطوة على الطريق تستطيع بمقتضاها الحصول على المساعدة المالية

---

(١) FO. 371/3390, 19070
وعرض حكومة المملكة العربية السعودية - المصدر السابق، ص ص ٣٦٩ - ٣٧٩.

التي تمكنها من القضاء على معارضة ابن رشيد في الداخل، وذلك ما يتفق مع مصالح بريطانيا إذ أن ابن رشيد حليف للأتراك وربما أدركت الرياض أيضا بفطرتها السياسية أن المتغيرات الدولية ربما ستحتم على بريطانيا إعادة النظر في دقائق علاقاتها معها مما يؤدي إلى اتفاق من نوع آخر يكون متوازنا في حقوقها وتعهداتها[1].

وإذا كان تقدير الرياض على هذا النحو فقد صح هذا التقدير، فقد عقدت مع بريطانيا معاهدة جدة (٢٠ مايو ١٩٢٧م/ ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ) التي ألغت فيها فعاليات هذه المعاهدة، وتحررت الرياض بموجبها من قيود السياسة البريطانية، وقد جاءت هذه المعاهدة بعد أن فرضت سيطرتها على أرض الحجاز وضمتها إلى الدولة الحديثة، وزادت بذلك مسئولية الرياض الأمنية والداخلية فقد استطاعت الرياض بموجب معاهدة جدة الحصول على تعهد من بريطانيا بإباحة تصدير الأسلحة والأدوات الحربية إلى جزيرة العرب، هذا إلى جانب الإقرار بالسيادة الكاملة على أمور الدولة خارجيا وداخليا[2].

وقد أخذت العلاقات بين بريطانيا والرياض طابع الندية إلى حد ملحوظ وقد وضعت بريطانيا حاكما قويا تأمن من اضرابات شبه الجزيرة العربية التي هي العمق الاستراتيجي لتواجدها في الخليج والعراق بضم الحجاز إلى سلطة الرياض، أمنت أيضا الساحل الشرقي والبحر الأحمر لتكيف وجودها فيه.

وقد شغلت الرياض فيما بين المعاهدتين حيزا كبيرا من مخططات بريطانيا في المنطقة أو يمكن القول إن الدور التوحيدي الذي كانت تقوم به الرياض كان محورا لكثير من وقائع الأحداث التي شكلت الإطار العام للوجود البريطاني في

---

(١) جون فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تعريب عمر الديراوي المكتبة الأهلية، بيروت ص ص ٣١٥ - ٣٢٦.

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ص ٤٤٨ - ٤٥٠.
وأحمد طربيني، تاريخ المشرق العربي المعاصر، مطبعة طربيني، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢م/ ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ، ص ص ٥١٠.

المنطقة فقد أصابت العلاقات بين الرياض وبريطانيا بعض التوترات التي أثارتها متغيرات السياسة البريطانية في المنطقة.

ولا يمكن القول بأن الرياض كانت هي السبب المباشر في تلك العثرات ذلك لأن الايقاع الذي سارت عليه في توحيد الأجزاء والمناطق لتكوين الدولة في نجد ثم الامتداد في الحجاز إلى حدود اليمن جنوبا وحدود الأردن شمالا أظهر للرياض واقعا يتطور ذاتيا بصورة تخشى معها بريطانيا على نفوذها في المنطقة ما لم تكن قد أعدت للأمر الواقع ما يبقى الزمام في يدها. الأمر الذي حدا بالسياسة البريطانية كما ذكرنا سابقا إلى إيجاد أشكال بعض العقبات في طريق الرياض لا يجعلها متفرغة كل الوقت وبكل الجهد لتحقيق دورها التوحيدي لبناء الدولة الحديثة. بينما تحول في نفس الوقت تكريس طاقات وإمكانيات الرياض لخدمة الإطار العام للاستراتيجية البريطانية على المدى القريب والبعيد.

أما العلاقات بين الرياض والأشراف فقد كانت ماثلة أمام بريطانيا على مدى مراحلها المتغيرة في حين عمدت الرياض إلى عدم الدخول في نزاع مع الأشراف في فترة مواجهة ابن رشيد وترتيب الأوضاع الداخلية في نجد، حيث اعترفت الرياض بالأشراف وبما لهم على شرط أن لا يتدخلوا في أحوال نجد والرياض حتى أنها رفضت إمارة مكة التي عرضها الأتراك تحسبا من مواجهة الأنجليز.

وفي مراحل مواجهة الشريف حسين مع الأتراك رحبت الرياض بالحركة العربية حتى ما رأى الشريف أن انتشار الدعوة الدينية الآتية من نجد إلى العشائر المتاخمة للحجاز يعد أمرا يهدد مصالحه خاصة بعد انحياز تلك القبائل إلى الاتجاهات الدينية للرياض، أرسل قواته لتأديب العشائر مما أثار غضب الرياض، وكان لا بد من المواجهة العسكرية خاصة بعد أن منعت حكومة الحجاز الحجيج من دخول أراضيها لأداء فريضة الحج وتحركت الرياض لحسم

الموقف مع الحجاز بإستيلائها في ٢٥ مايو ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ على «تربة» بقيادة سلطان* بن بجاد والشريف خالد** بن لؤي[١].

وبعد موقعة تربة * أدركت الرياض أن قوات الشريف حسين لم تعد تشكل خطرا أو تهديدا كبيرا بالنسبة لها، إلا أن ما منع الرياض من التقدم إلى أبعد من تربة هو الإنذار الذي وصلها من الحكومة البريطانية في ٤ يونيو ١٩١٩م/ ٥ رمضان ١٣٣٧هـ. حذرتها فيه من التقدم في الأراضي الحجازية[٢]. والذي كان أحد وسائل بريطانيا لتحجيم نشاط الرياض وحركتها التوحيدية.

وبعد هذه الموقعة اتجهت أنظار الرياض لإخضاع جبل شمر والمناطق القريبة وذلك بعد أن تسببت منطقة جبل شمر الكثير من المتاعب للرياض، نتيجة للصدامات المسلحة المتعاقبة التي كانت تقع بين أنصارها وبين الموالين لآل رشيد. وما كان يعقب هذه الاشتباكات من مفاوضات واتفاقيات على

---

* سلطان بن بجاد بن حميد من عتيبة، قائد شجاع من البادية ما بين الحجاز ونجد صحب ابن سعود (عبد العزيز) في غزواته، أقام في هجرة الغطغط على مقربة من الرياض فكان زعيمها.
كان من العسير على أن بجاد وهو العريق في البداوة أن يرتاح إلى أساليب من الحضارة الجديدة، فأنكر كل ما هو حضاري، وتحول بعد الطاعة والإخلاص ثائرا، التفت حوله جموع من قبيلته عتيبة، وناصره فيصل الدويش، واتسعت الفتنة وانتهت بالقبض عليه ووضعه في سجن الرياض وبعد سنة ونصف مات في سجنه.
انظر الزركلي، **الاعلام**، المجلد الثالث، ص ١٠٩.

** خالد بن منصور بن لؤي من العبادلة، شريف من الأمراء الشجعان، كان له ولأسلافه إمارة الخرمة في شرقي الحجاز، وثار على الأتراك في الحرب العالمية الأولى مع الشريف حسين بن علي، وهو من بني عمومته، عرض على سلطان نجد طاعته وولاءه، وعلم الشريف بذلك فحاول محاربته ولكنه هزم، توفي في صبيان عن نحو سبعين عاما.
انظر الزركلي، المرجع السابق، المجلد الثاني ص ص ٢٢٩ - ٣٠٠.

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ص ٢٤٤ - ٢٥٧.
وحافظ وهبه، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص ص ٢٠٩ - ٢١٥.
TROELLER. OP. CIT, PP. 142-147

* تربة بلدة تقع على بعد ٧٥ ميلا عن جبل حضن إلى الجنوب، وجبل حضن هو الحد الفاصل بين نجد والحجاز، وسكان هذه البلدة من عرب البقوم، وفيها عدد من جماعة الأشراف يملكون أكثر أراضيها.
وتربة ذات أهمية استراتيجية لأنها تقع في الطريق إلى الطائف، بل هي بابا الطائف من جهة نجد، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية.
انظر: صلاح الدين المختار، المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٢) حافظ وهبه، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، المرجع السابق، ص ٢١١.
وكنت، ويليامز - **الدولة السعودية**، تعريب صمويل مسيحه، بيروت ١٩٣٤م، ص ٩٣.

الصلح لا تلبث أن تنقضي ويعـود الاقتتـال إلى مـا كـان عليـه. وإزاء هـذه الأوضـاع غير المستقرة كـان لا بـد للمشكلـة الشمريـة من حل جـذري، لهذا جهزت الـرياض عام ١٩٢٠م/ ١٣٣٩هـ قوة أرسلت إلى حائل عـاصمة جبل شمـر ومـركـز آل رشيد، ومـا إن وصل المقـاتلـون حتى أرسل أهل حـائل وفـد للتفاوض والمصـالحة على أساس أن يبقى لجبل شمـر استقلال داخلي بينما تترك الشئون الخارجية لسلطة الرياض[١].

وبعد مفاوضـات رأت الرياض أن هذا المطلب لن يحل المشكلـة الشمرية بل سيـزيـدهـا تعقيـدا كما سيكـون مثـل هـذا الاستقـلال مصـدرا للمشـاحنـات والمتاعب[٢].

والخلاصة أن منطقـة جبل شمر كان نصيبهـا كغيرها من المناطق بـدخولها في طاعة الرياض عام ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ[٣].

إذا كـانت حادثـة الخرمة والصـدام المسلح الذي وقع بعـد ذلك في تربـة بين قوات الشريف حسين وقوات الرياض تعتبر مـن الأحداث الرئيسة التي مهدت لبـدايـة الخصـام وتفـاقمـه بين نظـامي الحكم في الحجـاز ونجـد، فإن هـاتين الحادثتين عادتا من جـديد لتكونا مضاعفات وذيـولا تمخضت عن اندلاع حرب شاملة بين سلطنة نجد ونظام الحكم الهاشمي في الحجاز.

وقد حـدث ذلك في أعقاب قيام الشريف حسين بمنع النجـديين من دخول أرض الحجاز ردا على ضمهم تربة بعد أن كانت تحت سيادة الأشراف من قبل. فكان لقضية المنع هذه وقـع شديد على النجديين[٤]. لذلك دعـا سلطان نجد

---

(1) IOR R/15/1/557 PP. 15, 75, 141.
[POLITICAL RESIDENCY, BUSHIRE, IBN SAUD AND IBN RASHID]
(2) IBID, P. 75
(3) IOR R/15/5/28, PP. 56-59, 63-64.
[POLITICAN AGENCY, KYWAIT, BRITISH, RELATION WITH IBN SAUD, 1921]. LIPSKY, OP. CIT. P.5.
(4) IOR R/15/1/557, PP. 32-39, 125-127, 160-171 (61/6 VOL. III <<POLITICAL RESIDENCY, BUSHIRE IBN SAUD AND SHARIF OF MACCA>>

إلى عقد مؤتمر في الرياض ١٩٢٤م/ ١٣٤٣هـ حضره عدد كبير من رجال الدين والعلماء وشيوخ القبائل وممثلوا إمارات السلطنة، تدارس هذا المؤتمر قضية منع أهالي نجد من الوصول إلى الأماكن المقدسة والتي مضى عليها أكثر من خمس سنوات، فكان قرار المؤتمر هو أن الحج ركن من أركان الإسلام، وأن مكة المكرمة وبقية الأماكن المقدسة ليست ملكا لأحد وبالتالي لا يحق لأي كان أن يمنع المسلمين من أداء فريضة الحج، وهذا يعني أن أهالي نجد سوف يضطرون إلى الوصول إلى مكة بطريق القوة.

وجرت اتصالات ووساطات على الصعيدين الداخلي والخارجي تلافيا لوقوع الصدام ولكنها لم تسفر عن شيء، فكان ذلك مؤشرا بنشوب الحرب وحدوث ما ليس منه بد وانطلقت القوة العسكرية النجدية متجهة إلى الطائف ١٩٢٤م/ ١٣٤٣هـ، وفي هذه الأثناء وصلت الأنباء بأن الشريف حسين سمح للنجديين بأداء فريضة الحج ولكن الوقت قد فات.

وفي عام ١٩٢٥م/ ١٣٤٤هـ، دخلت قوات الرياض جدة، وفي عام ١٩٢٦م أصبحت سلطنة نجد تعرف باسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها[1].

ونستخلص مما سبق أن الرياض بهذا التحرك وصلت في علاقاتها إلى حد الحرج مع الحكومة البريطانية، وربما أرادت الرياض أن تعبر عما يدور في خلدها بأنها لا ترى في غيرها الكفاية لريادة الفكر الإسلامي ثم إن الأحداث قد أوجبت عليها التحرك لمواجهة الأشراف وهي لا ترضي أن يصبح كل ما قامت به من ضم وفتح وحسم أحداثا لا جدوى منها إذا ما وقفت مكتوفة الأيدي أمام اعتراض شريف الحجاز على رعاياها الأمر الذي اعتبرته الرياض ماسا بمنزلتها ومكانتها الدينية.

---

(1) LIPSKY, OP. CIT, P. 95.

وعلى صعيد آخر كان طبيعيا أن تولي الرياض - وهي على طريق توحيد أجزاء مملكتها، حدودها الجنوبية رعاية خاصة، ومن ثم عمدت إلى إعادة ترتيب علاقاتها مع اليمن، وتثبيت علاقات حسن الجوار، ومن ثم فقد عقدت مع إمام اليمن في عام ١٩٣٠م/ ١٥ شعبان ١٣٥٠هـ معاهدة صداقة وحسن جوار نظمت أمور الرعايا من كل دولة لدى الأخرى من حيث المعاملة والحقوق والأحكام الشرعية وضبط وتبادل تسليم الخارج عن طاعة دولته[١].

ونستطيع القول بأن الصراع الذي دار بين الرياض واليمن في فترة سابقة إنما يخرج شكلا وموضوعا في بواعثه وأهدافه من ذلك الشكل شبه التقليدي الذي غرسته السياسة البريطانية بين الرياض وجيرانها في الفترة المعاصرة لذلك يمكن أن نطلق على هذا الصراع لعبة الحدود.

وقد ازداد نفوذ الرياض بعد خوضها معارك الاسترداد والضم شمالا وشرقًا وغربا، بينما كانت اليمن في الجنوب ترقب الرياض وهي تؤكد سلطاتها بضم الحجاز وبسط حمايتها على عسير، وقد اعتبر اليمن أن زيادة نفوذ الرياض وتأكيد سلطاتها تهديدا لاستقلاله وبقائه، خاصة وقد ارتفعت أصوات من نجد إلى صنعاء تنادي بضم اليمن إلى الدولة الناشئة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإيحاءات البريطانية لبذر الشقاق والتي قد تمثلت في تلك المقالات التي أخذ «فلبي» في كتابتها حول ضم اليمن كانت تتعارض مع وجهة نظر الرياض وأهدافها.

وقد مر الخلاف مع اليمن في مراحل متعددة ليصل إلى استخدام القوة المسلحة، حيث تعود جذوره إلى الفترة عام ١٩٢١م - ١٩٢٢م/ ١٣٣٩-١٣٤١هـ والتي أصبحت فيها عسير تحت سيادة الرياض، وقد أقر

---

(١) محمد المانع، المرجع السابق، ص ١٩٧.
والمختار، المرجع السابق، جـ٢، ص ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

بـذلك السيد محمـد بن علي الأريسي عـام ١٩٢١م/ ١٣٣٩هـ عنـدما أوفـدت الرياض إليه وفد للنظر في أمر الحدود وعلاقات الجوار[١].

وفي عـام ١٩٢٦م/ ١٣٤٥هـ تم عقـد معـاهدة عـرفت بمعـاهدة مكـة بين الرياض والإدريسي[٢]، يعترف فيها بالحدود السابق الاتفـاق عليها في معاهدة ١٩٢١م/ ١٣٣٩هـ، إلى جـانب تعهده بألا يتـدخل في مفاوضات سيـاسية أو اقتصادية مع أي حكـومة، أو يمنح امتياز اقتصادي إلا بعد موافقـة الرياض، كذلك فإنـه ليس له الحق بصفته إمام عسير أن يتنـازل عن جزء من الأرض التي اعترف بسيادة الـرياض عليها، وفي المقـابل تعترف الريـاض بحكم إمام عسير على الأراضي التي تم الاتفـاق عليهـا في معـاهـدة صفر وتأكـد بها في معـاهـدة جـدة، كما تؤكـد الريـاض أن تكون إدارة بـلاد عسير الداخليـة وعشائرهـا من حقـوق إمـــام عسير على أن تكـون الأحكـام متفقـة مع الشريعـــة، كما تتعهـد الـريـاض بحماية أراضي عسير مـن الأخطار الـداخليـة وتلك التي تهددهـا من الخارج[٣].

وهكذا أصبحت الريـاض بتوقيعها معاهـدة مكة مع اليمن في خط المواجهة مع كلا من ايطاليا وبريطانيا[٤].

ثم أوفدت الرياض مبعوثها إلى صنعاء لاطلاع إمام اليمن على ظروف دخول الأدارسـة تحت حمايتها والاتفـاق معها على الحدود وإنشـاء علاقـات الصداقـة وحسن الجوار إلا أن المبـاحثات التي دارت لم تسفـر إلا عن زيـادة إصرار اليمن

---

(١) المرجع نفسه، ص ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي، وجلال يحيى، **وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر**، دار المعارف، ١٩٦٦م، ص ص ٤٠١ - ٤٠٣.

(٣) أم القرى، العدد ٤١٠٨، الجمعة ٣ رجب ١٣٤٥هـ/ ٧ يناير ١٩٢٧م.
و - محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، جـ ٢، دار اليمامـة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ ص ص ٧٦٠ - ٧٦٢.

(٤) كشك، المرجع السابق، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

على اعتبار عسير جزءا من اليمن، وبالتالي عدم الإعتراف بما تم من بسط حماية الرياض على الادارسة في عسير[1].

فعاد وفد الرياض بعد فشل مهمته، ثم دارت الاتصالات مرة أخرى بين الرياض وصنعاء دون التوصل إلى اتفاق. وفي هذه الأثناء أقدمت صنعاء على الاندفاع بقواتها في نجران وبلاد يام إلى أن دخلت جبال بن عبد الله وفيفا وبني مالك مخترقة تهامة وحتى الجزء الساحلي من عسير. وهنا استنجد أمير عسير بالرياض فبعثت إنذار نهائيا لتسوية خلافات الحدود، مهددة بالحرب، وبالفعل تقدمت قوات الرياض في حملة عسكرية لاقناع صنعاء أنها تستطيع نقل حركة الصراع إلى قلب اليمن.

وعندما تأزم الموقف استنجدت اليمن بقوات أجنبية لدول عديدة فاستجاب الايطاليون لندائها واتجهت قواتهم بحرا عبر البحر الأحمر إلى ميناء الحديدة إلا أن قوات الرياض كانت أسرع في الحركة ومواجهة الموقف، مما أدى إلى تراجع الايطاليين.

وعلى أثر نداءات من زعماء العالم العربي أصبحت صنعاء أمام الأمر الواقع وفي جلسة مغلقة اجتمع حاكما الرياض وصنعاء وسويت الأمور بينهما، وأوقفا الحرب عام ١٩٣٤م/ ١٣٥٣هـ، وعادت قوات الرياض بعد أن أصبحت عسير إقليما ضمن الدولة الناشئة[2]. وقد تطورت العلاقات بين الرياض وصنعاء تطورا إيجابيا بعد تلك الأحداث فعقدت بينهما عدة اتفاقيات ثنائية وجمعتهما مع أطراف أخرى معاهدات مشتركة تقرر تشكيل المسارات السياسية والاقتصادية بالغة الأهمية.

---

(١) المختار، المرجع السابق، جـ ٢، ص ص ٤٠١ - ٤٠٢.
(٢) المانع، المرجع السابق، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٨.
وأحمد حسين شرف الدين، المرجع السابق، ص ص ٢٧٢ - ٢٧٦.
ومحمد العقيلي، المرجع السابق، جـ ٢، ص ص ١١٣٢ - ١١٤١.

- يونيو ١٩٣٣م/ ٧ صفر ١٣٥٢هـ اتفاق الطائف الذي ينص على الأخاء والتعاون في خدمة العرب والإسلام وأن تنهضا لمساعدة بعضهما البعض في حالة وجود عدوان خارجي على إحداهما.

- إبريل ١٩٣٦م/ ١٠ من المحرم ١٣٥٥هـ معاهدة الأخاء والتحالف الإسلامي وفيها انضمت اليمن اليها، وأصبحت هذه المعاهدة تضم الرياض وبغداد وصنعاء[١].

- ٢٠ إبريل ١٩٥٦م ميثاق أمن جدة، وهو اتفاق على انظمام الرياض والقاهرة وصنعاء في حلف عسكري للدفاع المشترك فيما بينهم[٢].

وهكذا نجد أنه بنظرة شاملة على تلك العقود الثلاثة التي انقضت منذ دخول عبد العزيز فاتحا للرياض، نرى أن الرياض بدورها الريادي في توحيد نجد وما جاورها قد أقدمت على تكوين كيان مترابط جاز له عندما اكتمل في أوائل الثلاثينات أن يحتل اسم الدولة الحديثة (المملكة العربية السعودية). وذلك بعد أن خاضت المعارك الواحدة تلو الأخرى كل منها تحقيق ضم أو إخضاع منطقة نفوذ لسلطتها (الرياض) بداية بالقصيم ثم الأحساء والإطلال على الخليج ثم على البحر الأحمر بضم الحجاز، مرورا بإخضاع آل رشيد في حائل ثم حسم الموقف مع اليمن بضم عسير.

رابعا: الرياض قاعدة للمملكة:

في الوقت الذي تهيأت فيه الظروف للرياض خارجيا لكي تتفرغ للقيام بدورها الريادي كقاعدة للمملكة العربية السعودية اعترضتها من الداخل ما استقطب من وقتها الكثير وهي على بداية طريقها لتكون العاصمة لهذا الكيان السياسي الكبير الذي كان يحتاج لكل وقتها وجهدها.

---

(1) IOR R/15/1/571, PP. 50, 91-97 <<CONFIDENTIAL RECORDS>> & HOPWOOD, OP. CIT. P. 148.

(٢) أحمد حسن شرف الدين، المرجع السابق، ص ص ٢٧٧ - ٢٧٨.
وأمين السعيد، المرجع السابق، ص ص ٢٠١ - ٢١١.

ولما كان تحقيق المجتمع المستقر هو الهدف الأساسي لبناء هذه الدولة التي لا تتحقق إلا بوجود مقومات أساسية تتمثل في وجود الأرض والناس المرتبطين بها والسلطة الحاكمة التي تنظم أمور هؤلاء الناس. ولما كان الطابع الغالب على مواطني الدولة الحديثة هو البداوة، وما يتبعة ذلك من عدم الارتباط بالأرض، إذ هم دائموا السعي نحو الماء والمرعى حيثما وجد، كان لا بد من تطور الحياة البدوية وإيجاد نمط جديد لها تجعل البدوي أكثر ارتباطا بالأرض وبالتالي «أكثر إذعانا لسيادة السلطة وليس لسطوة القبيلة، ولذلك تقرر استبدال أنماط الحياة البدوية غير المستقرة بحياة ريفية مستقرة عن طريق توطين هؤلاء البدو الرحل وتدريبهم على الزراعة في مواطن استقرارهم الجديدة والتي أطلق عليها «الهجر»[1].

وهكذا برزت أمام الرياض مسألة تكوين الهجر لتوطين البدو وكذلك مسألة الإخوان التي نتجت عن المسألة الأولى أو تزامنت معها حيث اختلف الباحثون حول أيهما كان سببا في وجود الأخرى.

والواقع أن مشكلة الإخوان وإن كانت تبدو في ظاهرها مشكلة دينية غير أنها في حقيقتها مشكلة اجتماعية في جذورها، سياسية في نهايتها فقد نتجت عن محاولة الدولة توطينهم وربطهم بالأرض وحثهم على العمل حتى اندماجهم واستقرارهم وتكيفهم مع المجتمع الجديد، وقد استخدمت الدولة لتحقيق هذه الغاية أسلوب إرسال الدعاة إلى الهجر. ومن ثم ظهرت تجمعات الإخوان التي أصبحت تمثل مشكلة اجتماعية صبغت بالصيغة الدينية.

وتوضح ذلك أن المجتمع المستقر لم يكن موجودا أصلا لدى البدو، فكيف تظهر تجمعاتهم وبالتالي مشكلتهم. إن المنطق المقبول أن يكون ترتيب الأحداث جاء ابتداء بالتفكير في ربط الفرد بالأرض وبالتالي بالسلطة، وبحثا عن الوسيلة

---

(١) عبد الفتاح حسن أبو علية، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر**، دار المريخ للنشر، الرياض ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ، ص ص ١٤ - ١٥، ٢٣ - ٣٢.

لم يكن أمام الرياض وسيلة أجدى من العقيدة[1]. ولا عجب فالدولة قائمة على مباديء الإسلام الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، فكان إرسال الدعاة لتحقيق هذه المهمة.

على أن عملية توطين البدو قد نتج عنها أمران:

الأول: هو الركون واسترخاء الرجال، حيث الدار بعد الخيمة، ومورد الماء والاستزراع بعد قطع البيداء غدوا ورواحا وراء الماء والمرعى، فلتعمل النساء في الحرث والزرع، وحسب الرجال ما سبق أن بذلوه من جهد.

الأمر الثاني: هو تجمعات الإخوان وقد ساعد على ذلك إرسال الدعاة إلى الهجر وإطلاق يدهم للعمل على صقل الفرد ودمجه في منظومة المجتمع الجديد وحثه على الحركة والعمل في إطار من الشريعة، فقد التف الإخوان حول هؤلاء الدعاة وأصبحوا يشكلون قوة حقيقية[2].

الأمر الذي ترتب عليه ظهور جانبين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، وهما يشكلان عناصر المشكلة.

الجانب الإيجابي وقد ظهر في المرحلة الأولى لتكوين الهجر بتلك الوسيلة متمثلا في ظهور مجموعات كبيرة من البدو يلتفون حول الدعاة تجمعهم الأخوة في الدين والعقيدة والولاء لسلطة الرياض، وتشحذ هممهم روح الجهاد المتأصلة في نفوسهم. وقدد استفادت الرياض من ذلك واستثمرته في وقت هي في أشد الحاجة إليه[3].

---

(١) أمين الريحاني، **تاريخ نجد الحديث**، المجلد الخامس، ص ص ٢٥٨ - ٢٦٤.
وخير الدين الزركلي، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز**، جـ١، ص ص ٢٥٩ - ٢٦١.
ومديحة درويش، المرجع السابق، ص ص ١٥٩ - ١٦٦.

(٢) جون حبيب، **نشأة حركة الإخوان في الجزيرة العربية**، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس، ص ص ١٤ - ١٥.
وعبد الله محمد الخريجي، **السياسة الاجتماعية للملك عبد العزيز في توطين البدو**، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، ٥/ ١٢/ ١٩٨٥م/ ٢٣/ ٣/ ١٤٠٦هـ، ص ١٠.

(٣) جون حبيب، المرجع السابق، ص ص ١٩ - ٢٣.
ومحمد المانع، المرجع السابق، ص ص ١١٠ - ١١٣.

فقد اعتمدت الرياض على قوة الإخوان في بسط سيطرتها ومد نفوذها على الجيوب المناوئة للدولة الجديدة.

أما الجانب السلبي فقد تولد عن ذلك الجانب الإيجابي، ذلك أن هؤلاء الإخوان الدعاة ومن حولهم تلاميذهم رأو أن الرياض تعتمد عليهم اعتمادا أساسيا، وأنهم الدعامة والسند لها في تحقيق جميع انتصاراتها، فأصبحت ثقتهم بأنفسهم غير محدودة، وترسخت في عقولهم فكرة عدم استطاعة الدولة الاستغناء عن وجودهم وهنا طغت على تصرفاتهم وسلوكهم الطبيعة البدوية والروح القبلية وهم لازالوا قريبي العهد بها. فأخذت مطالبهم تزداد وحدتهم تشتد في الاعتراض على أساليب الرياض المتطورة للنهوض بالدولة، فقد أنكر الإخوان على الرياض الأخذ بما وصل إليه العلم الحديث في مجال وسائل الإتصالات وأساليب المدينة الحديثة لراحة المواطن في الدولة الحديثة بدعوى أن ذلك خروج عن الدين والشريعة واشتطوا في أفكارهم حينما أعلنوا أن قرارات الرياض أصبحت لا تمثل لديهم السلطة الشرعية ودأبوا على معارضتها[1]. ومن ثم صبغت مشكلة الإخوان بالصبغة الدينية.

على أن وصول الإخوان إلى هذه الدرجة من رفض التطور رفضا وصل إلى درجة التمرد والخروج عن شرعية الدولة يرجع إلى عاملين:

أولهما: أن فكر الدعاة الذين أرسلوا إلى الهجر بهدف العمل على صقل الفرد ومساعدته على التكيف والاندماج في المجتمع الجديد، كان جامدا بدرجة لا تستوعب أهمية التطور وضرورة الأخذ بأساليب الحياة الحديثة.

---

(1) - IOR R/15/1/567, S- 77, 61/11 - IV, P. 43.
- RENTZ, GEORGE, **KING ABDUL AZIZ AND THE IKHWAN**, PAPERS PRESENTED TO THE INTERNATIONAL COMFERNCEON THE HISTERY OF KING ABDUL AZIZ, AL-AMAM MOHAMED IBN SAUD ISLAMIC UNIVERSITY, RIYADH, 1985, PP 3 - 9.
- RENTZ, GEONGE, **WAHHBISM AND SAUDI ARABIA**, NO 7, HOPWOOD DERCK, THE ARABIAN PENINSULA, SOCIETY AND POLITICS, LONDON, 1979, PP. 64 - 65.
- Lipsky, george, op, cit. p. 95.

ثانيهما: أن الأفراد في الهجر كانو بدوا غلبت عليهم الطبيعة البدوية الجامدة التي لا يمكن تغييرها أو تعديل مسارها بسهولة، وهذا أمر طبيعي، فالظواهر الاجتماعية المتعلقة أو المرتبطة بالعادات والتقاليد الموروثة تحتاج إلى جيلين أو ثلاثة لتطويرها وتغييرها؛ لأن ذلك يتعلق بطبائع بشرية وليس بآلة ميكانيكية يمكن تطويرها أو تغييرها في زمن قصير. فإذا ما التقى العامل الأول بالعامل الثاني كانت النتيجة كما رأينا رفضا للتطور وإنكارا للأخذ بوسائل التقدم الحديث باعتباره خروج عن الدين، بل اعتبار أن قرارات الرياض بهذا الشأن لا تمثل السلطة الشرعية[1].

وهكذا نجد أنه في الفترة التي تهيأت فيها الرياض لتكون قاعدة سياسية للمملكة الجديدة كان هناك ما يؤرق فكرها ويضع على حركتها نحو التطور والأخذ بأسباب العصر في الداخل قيودا، بعد أن نصب الإخوان من أنفسهم أوصياء على الدعوة السلفية، رغم أن الرياض قد أخذت بالشريعة الإسلامية منهجا لحكمها تماما كما كانت عليه زمن الدولة السعودية الأولى والثانية. ولذلك نجد أنه عندما أخذت معارضة الإخوان لخطوات الرياض صورة التمرد والانشقاق الأمر الذي خشيت الرياض أن يكون له صدى لدى باقي كيان الدولة فقد أقدمت على تصفية المعاقل المناوئة التي تزعمها فيصل الدويش.

والحقيقة أن التعامل مع مشكلة الإخوان كانت من أهم العوامل التي حسمت الموقف الداخلي لصالح الرياض إن لم تكن أهمها على الإطلاق وذلك لكي تتفرغ لدورها كقاعدة للمملكة.

وعند معالجتنا للأحداث السياسية التي عاصرت ممارسات الرياض في تلك الفترة إعداد وتمهيدا لقيام دولة حديثة، فإننا نعود فنقرر أن حسم الموقف مع الإخوان كان فتحا لانطلاقة سياسية للرياض شعرت بعدها بانحسار الوصاية عن إرادتها.

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ص ٢٨٩ - ٣٠٢.

فـالظروف التي أوجـدت هذا الكيـان المنتشر لـلإخوان قـد جعلت منهم في مراحل فرض الوحدة بعد استيـلاء عبد العزيز على الرياض، عنصرا إيجابيا رأت فيهم الرياض سنـدا قتاليا في تحقيق أهدافها. أما عندمـا تطورت الأمور ليصبح هذا العنصر معوقا لمسيرة الرياض في ملاحقة حركة السياسية الدولية التي بدأت تأخـذ طريقهـا إلى منعطفاتها بعـد فتح الحجـاز قد أوجبت عليهـا (الريـاض) التعامل مع الإخـوان على نحو آخر بعد أن تحولـوا من قوة تنفيذية بيـدها إلى قوة معوقـة لتقدمهـا، ومن ثم كانت ثـورتهم نهاية المطـاف لمشروع خلف الكثير من النتائج الهامة[1].

وللتاريخ فإن الـرياض كانت شديـدة الحرص على تنفيذ التزاماتها السيـاسية مع الآخرين من الدول والقوى الأجنبية، وعندما تم الاتفاق مع الإنجليز ممثلين عن العراق على مشاكل الحدود كـان التزام الرياض واضحـا بما تم عليه الاتفاق في المنـاطق المحايـدة، غير أن بريطـانيا وجـدت في هذه المنطقـة مسرحا مـلائما لإدارة مشـاهد مـؤثـرة في استقـرار الكيان النـاشيء لسلطـة الريـاض، ثم نـرى الوقائع تجري على النحو التالي:

- بذور الثورة بدأت عندما رفض عبد العزيز تعيين سلطان بن بجاد وفيصل الـدويش أميريـن على مكـة والمدينـة بعـد الاستيـلاء عليهما، فإذا بهما يهاجمان مخيمات ونقـاط على الحدود العـراقيـة، والسبـب في ذلك يعـود إلى أن العـراقيين يحدون من دخول النجـديين وبنوا خطا من الاستحكامات على طـول حدودهم مع نجد فاعتبر البدو هذه الخطوات اعتـداءات على حقوقهم التقليدية في حرية الرعي والانتقال غير المقيد عبر الحدود، احتجت بريطانيا والعراق لدى حكومة

---

(1) DICKSON, (H.R.P), KUWAIT AND HER NEIGHBOURS, George Allened unin 1968, p. 50.

و - عبـد الفتاح أبـو عليـة، **الإصـلاح الاجتماعي في عهـد الملك عبد العـزيـز**، دار المريخ، الـرياض، ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ، ص ١٥٥.

الرياض على هذه الاعتداءات واعتبروا سلطان نجد مسؤولا عن هذه الجماعات بموجب معاهدة جدة ١٩٢٧م/ ١٣٤٦هـ[١].

- ونتيجة لعدم جدوى النداءات التي وجهها عبد العزيز للقبائل لإيقاف الغزوات عقد اجتماع في الرياض ١٩٢٨م/ ١٣٤٧هـ عرف باسم «الجمعية العمومية» حضره حوالي ٢٥٠ رجل من زعماء القبائل وكبار علماء الدين وأمراء المدن. وأسفر الاجتماع عن تجديد البيعة لسلطان الرياض والعزوف عن سياسة التسامح واللين مع الذين خرجوا عن الطاعة.

وفي عام ١٩٢٩م/ ١٣٤٨هـ أدرك عبد العزيز أن حركة الإخوان التي أنشأها لنشر السلام والاستقرار أصبحت أداة للعنف والفوضى، وذلك عندما هاجمت قوة منهم قافلة كبيرة للتاجر ابن شريدة بعد قتله وسلب القافلة التي كانت في طريقها من بريدة إلى دمشق، ومع الاستمرار على مهاجمة الأراضي العراقية وهنا أدركت الرياض أن القوة يجب أن تواجه بالقوة[٢]. فنهضت في مطاردة المتمردين وتلاحمت القوات في موقعة السبلة*. وينقذ سلطان بن بجاد ويقع فيصل الدويش جريحا ولكنه شفي من جراحه وعاد يحمل راية العصيان.

وقد انتهى هذا التمرد بدخول الدويش في حماية الحكومة البريطانية فاحتجت الرياض خاصة وأنه تأكد لديها أن المتمردين كانوا يحصلون على مؤن وذخائر من الكويت وعقب هذا الاحتجاج عقد اجتماع في الرقعي** بين عبد العزيز وبريطانيا التي كانت قد قررت إعطاء الدويش حق اللجوء السياسي[٣] قبل عقد الاجتماع. كما آوت زعيمين من زعماء التمرد وهما ابن لامي من قبيلة

---

(١) محمد المانع، توحيد المملكة، المرجع السابق، ص ص ١١٧ - ١١٨.
Rentz - George, op. cit, PP. 6 - 7.

(٢) وصلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، ص ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

* تقع قرب جبل طويق وتبعد عن الزلفي حوالي أربعة أميال تقريبا.

** مورد ماء نهر يقع عند نقطة تلاقي الحدود الكويتية العراقية السعودية.

(3) IOR R/15/5/34 P. 75 FROM: FAISAL BIN SULTAN AD-DAWISH TO: POLITICAL AGENT KUWAIT, DATED 8th NOV. 1929/6 JAMADI 2, 1348.

مطير ونـايف بن حثلين من العجمان ولم يسفـر اجتماع الـرقعي عن شيء، لـذا تقرر اجتماع ثـان في «خباري وضحـا» الذي انتهى بتسليم فيصل الـدويش*** ولامي وابن حثلين للـريـاض، وهكـذا انتهت المشكلـة المتعلقـة بنقـاط الحدود العراقية[1].

وهكذا انفردت الرياض دون غيرها من مدن المملكة، بأن تكون هي القاعدة للمملكة العـربية السعـودية وذلك لخاصـة تميزت بها دون غيرهـا. وهي أنها في مركز متوسط بين أجزاء المملكـة على الخليج والبحر الأحمر، فلا يتصور أن تكون العاصمة في مـدينة تبعد بينها أي من حدود أراضيها آلاف الكيلـومترات خاصة في وقت كانت الظـروف السياسية تحتـم على أولي الأمر أن يكون على مقـربة من مركز الصراع الدولي في الخليج العربي.

هذا فضـلا عن أن الدعوة السلفية التـي تسير المملكة على هدى مبادئهـا قد انبثقت من منطقـة نجـد التي أصبحت الـريـاض قلبهـا وقلب هـذه الـدعـوة النابضـة معا، بالإضافـة إلى ذلك فإن الرياض حينما انطلقت في سياستهـا نحو توحيـد الجزيرة خرجت منهـا القوة البشريـة التي حملت على عاتقها تنفيـذ هذه السياسـة، وقد اعتمـدت بعد الله على قوة العصبيـة القبلية وعلى القـوة الإيمانية التي تغلغلت في نفوس أفراد هذه القبائل حيث كـونت جيشا فدائيا استطاع أن يحقق للرياض طموحاتها في توحيد أجزاء البلاد ألا وهم الإخوان.

وهكذا احتفظت الرياض بمـركزها كقاعدة للمملكة العـربية السعودية مثلما كانت مركـزا للدولة السعودية الثانيـة وأصبحت بضواحيها التي اتسعت تشكل واحـدة من ثـلاث منـاطق رئيسـة للمـراكز الحضريـة والمجتمعـات العمـرانيـة بالمملكـة، والمنطقتين الرئيسيتين الآخريين هما المنطقة الشرقيـة وقاعدتها الـدمام

*** وضع في سجن الرياض وبعد ستة شهور مات بمرض ألم بقلبه.

(1) RENTZ, OP. CIT PP. 79.

ومحمد المانع، المرجع السابق، ص ص١٦١ - ١٩٤.

وتتصل بها مدينة الرياض عن طريق الخط الحديدي وكذلك عن طريق بري، والمنطقة الثالثة هي المنطقة الغربية وقاعدتها جدة وتتصل بها عبر طريق بري، وبالتالي فإن موقع الرياض يعتبر مركزا بالنسبة للمحور السكاني والحضري من الناحيتين الوظيفية والمكانية.

كما يلاحظ أن موقع مدينة الرياض يضفي على الصناعات ميزتين هامتين، الأولى هي إمكانية استلام المواد الخام من مصادر متعددة والثانية هي إمكانية توزيع منتجاتها إلى كافة مناطق المملكة خاصة في جزئيها الأوسط والشرقي.

إذن الرياض تعتبر مركزا اقتصاديا ومستودعا تجاريا يؤهلها للقيام بالعديد من الاتصالات الخارجية الواسعة وتقديم العديد من التسهيلات المتعلقة بالتخزين والتوزيع.

وبذا يمكننا القول أن مدينة الرياض تتصف بوجود قاعدة عريضة من أنشطة الخدمات بأنواعها تخدم نشاطها التجاري الصناعي المتشابك الواسع النطاق.